لمسات بيانيّة

من كتاب الله تعالى

المهندس عدنان الرفاعي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

.. بفضل الله تعالى ومنّته .. بيّنت – في كتبي – أنَّ القرآن الكريم يمتاز عن غيره من الكتب السماويّة بكونه تنزيلاً من عند الله تعالى ، وهذا يتعلَّق بكونه معجزة ، ويتماثل مع الكتب السماويّة الأخرى بكونه إنزالاً من عند الله تعالى ، وهذا يتعلَّق بكونه منهجاً .. وأيضاً يمتاز عن الكتب السماويّة الأخرى بكونه قول الله تعالى (صياغة لغويّة مباشرة من قِبَل الله تعالى) ، في حين يتماثل مع الكتب السماويّة بكونه كلام الله تعالى (معنى من عند الله تعالى) .. وبيَّنت أنَّ صفة العربي التي تعلَّقت بالقرآن الكريم ، تصفه بالكمال والتمام والخلو من العيب والنقص ، منهجاً ، ومعجزة ..

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢]

﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣]

.. ففي كتاب الله تعالى ، مشتقّات الجذر : (ع ، ر ، ب) تدور دلالاتها في إطار : الكمال والتمام والخلوّ من العيب والنقص ، وأخذت كلمة : ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ ﴾ المعنى المقابل ، كونها من الفعل المتعدّي بالهمز (أعرب) حيث التعدّي نقل المعنى إلى الاتّجاه الآخر ..

.. فالكلمات القرآنيّة ليست وضعيّة اصطلاحيّة من عند البشر ، كما هو شأن جميع لغات العالم (بما فيها مفردات اللغة العربيّة غير القرآنيّة) ، إنّما هي فطريّة من عند الله تعالى ، علَّمها الله تعالى لآدم قبل أن تحلَّ نفسه في جسمه ، وهبط بها إلى الأرض ، وحافظت عليها أمّة أميّة إلى حين نزول القرآن الكريم مصوغاً من تلك المفردات ..

.. ومفتاح الدخول لأحكام كتاب الله تعالى ، ولإدراك ما يحمل من معجزات ، هو صياغته اللغويّة ، فمعجزته تكمن في صياغته اللغويّة كونها من الله تعالى مباشرة .. وعند وضع قواعد اللغة العربيّة من قبل السابقين ، كان القرآن الكريم المعيار الأهم الذي تمَّ الاعتماد عليه في وضع هذه القواعد ..

.. قام علماء اللغة بتقعيد اللغة العربيّة ، واعتمدوا في ذلك على ما استطاعوا استنباطه من صياغة النصِّ القرآني ، وعلى ما شاهدوه في صياغة الشعر العربي ، وفي أقوال أبناء المجتمع العربي .. لكن .. بالتأكيد لم يحيطوا بحقيقة صياغة النصِّ

القرآني ، ولذلك ، في بعض الحالات وقف بعضهم عاجزاً عن استيعاب صياغة بعض العبارات القرآنيّة ، وراح بعضهم الآخر بناءً على ذلك يتّهم صياغةَ كتاب الله تعالى بالنقص والمغالطة ، معتبراً ما وضعه البشر حجّةً على كتاب الله تعالى ..

.. من هنا .. فإنَّ ما تمَّ وضعه من قواعد للغة العربيّة ، على يد السابقين ، يحاكي لغة القرآن الكريم بدرجةٍ كبيرة ، تتناسب مع درجة الجهد الذي تمَّ بذله في تقعيد اللغة ، فما نسمّيه بالقواعد الإعرابيّة هو جزء ممّا يحمل القرآن الكريم من هذه القواعد .. ولا يمكن للبشر أن يحيطوا بأيِّ جانبٍ من جوانب النصِّ القرآني ، فما أطَّره البشر من قواعد لغويّة ، لا يتجاوز حدود إدراكهم ، ولذلك فجعل إدراك البشر حجّة على كتاب الله تعالى هو جحودٌ بكتاب الله تعالى ، وتصوُّرٌ له على أنَّه نصٌّ بشريٌ ، تحكم من قام بصياغته (جلَّ وعلا عن ذلك علوّاً كبيراً) قواعدُ اللغةِ التي وضعها بشرٌ يخطئون ويصيبون ..

.. إعراب النصِّ ، من المفروض أن يكون تابعاً لإدراك دلالاته ، وقواعد اللغة التي تمَّ وضعها من قِبَل السابقين لا تحيط بكتاب الله تعالى ، لأنَّ البشر لا يستطيعون الإحاطة بكلِّ جوانب كتاب الله تعالى ، ولذلك من الضروري استمرار البحث والتدبّر في كتاب الله تعالى – في هذا الأمر – حتى قيام الساعة .. ولو استمرَّ البحثُ في كتاب الله تعالى ، لاكتشفنا الكثير من قواعد اللغة ، سواءٌ في جانب الإعراب ، أم في جانب الإملاء ..

.. وهنا يرمي الجهلاء بجهلهم ، على كتاب الله تعالى ، اعتماداً على أهوائهم من جهة ، وعلى ترَّهات بعض ما يحمله الموروث من جهةٍ أُخرى .. وهذا هو قمّةُ الإساءة لكتاب الله تعالى ..

.. في هذا البحث .. سنتناول بإذن الله تعالى ، أهمَّ النصوص التي اتَّهموا بها كتاب الله تعالى بالخطأ اللغوي ، لنرى أنَّ هذه النصوص تحمل قمّة الإعجاز البلاغي في إيصال الدلالات المحمولة بها إلينا ، وأنَّ تهمهم ناتجة عن عدم إدراكهم لصياغة النصِّ القرآني ، وعن عدم امتلاكهم لإرادة طاهرة في معرفة الحقِّ ..

.. المثال الأوَّل الذي سنتناوله ، هو قوله تعالى ..

﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧]

.. لنقف عند الجملة الأولى في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى : **﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾** .. في هذه الجملة ، ما نراه هو تقديم خبر ليس **﴿ ٱلۡبِرَّ ﴾** على اسمها ..... اسم ليس هو التولية : **﴿ أَن تُوَلُّواْ**

وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ ، وخبرها هو كلمة : ﴿ ٱلۡبِرَّ ﴾ .. والعادة أنَّ اسم ليس يسبق خبرَها ، بينما هنا نرى أنَّ خبر ليس يسبق اسمها : ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ ..

.. ﴿ لَّيۡسَ ﴾ تفيد نفي الحال ، وسلب المعنى ، و ﴿ أَن ﴾ حرف مصدري ونصب ، و ﴿ تُوَلُّواْ ﴾ فعل مضارع منصوب بأن ، و ﴿ وُجُوهَكُمۡ ﴾ مفعول به ، والضمر المتَّصل (الكاف والميم) مضاف إليه ، و ﴿ قِبَلَ ﴾ ظرف مكان متعلِّق بكلمة : ﴿ تُوَلُّواْ ﴾ ، و ﴿ ٱلۡمَشۡرِقِ ﴾ مظاف إليه ، و ﴿ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ عطف على المشرق ، والمصدر من أن وما يتبعها : ﴿ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ هو اسم ليس ، المؤخَّر ..

.. وورود كلمة ﴿ ٱلۡبِرَّ ﴾ متقدِّمة على اسمها ومعرَّفة بأل التعريف ، له دلالته بكون التولية قِبل المشرق والمغرب ليست خارج البرِّ .. فالمعنى المحمول بهذه الصياغة هو سلب كون التولية عين البرِّ ، بمعنى سلب حصر البرِّ بالتولية قِبل المشرق والمغرب فقط .. كأن نقول : ليست الأرضَ دمشقُ ، فما يُسلب هو كون دمشق عين الأرض ، لكن دون أن ينفي ذلك كون دمشق من الأرض ..

.. والجملة المُفترضة التي يريدها من لم يستوعبوا هذه الصياغة القرآنيّة ، هي : **ليست التولية** (**قِبل المشرق والمغرب**) **هي البرّ** .. وفي هذه الجملة المفترضة ، ما يُراد إظهاره وإلقاء الضوء عليه هو التولية ، حيث ترد اسماً معرَّفاً بأل التعريف بشكلٍ صريحٍ غير مؤوَّل ، وما يراد سلبه منها ونفيه هو البرُّ ..

.. لكن .. ما يريد النصُّ إلقاء الضوء عليه ، هو البرُّ وليس التولية ، وما يُراد سلبه ونفيه هو كون التولية عين البرِّ ، وما يؤكِّد ذلك هو العبارة التالية مباشرة : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ .... ﴾ ، فالسياق التالي يتعلَّق بالبرِّ .. وإلقاء الضوء على : ﴿ ٱلۡبِرَّ ﴾ كونه هو المعني في سياق هذه الآية الكريمة ، وليس التولية ، يقتضي تقديمه على التولية ، ويقتضي وروده معرَّفاً بأل التعريف ، ليشمل التولية قِبَل المشرق والمغرب ، دون حصره بها ، وهذا عين ما يرد في هذه الآية الكريمة ..

.. الآن .. العبارة القرآنيّة التالية مباشرة : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ ﴾ مكوّنة من حرف مشبّه بالفعل هو كلمة ﴿ وَلَـٰكِنَّ ﴾ ، ومن اسمه (الأوَّل) وهو كلمة ﴿ ٱلۡبِرَّ ﴾ .. و ﴿ مَنۡ ﴾ اسم موصول ، هو خبر لكنَّ ، وجملة ﴿ ءَامَنَ ﴾ صلة الموصول ، و ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ جار ومجرور متعلِّقان بآمن ، وكذلك ﴿ وَٱلۡيَوۡمِ ﴾ ، و ﴿ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ صفة ، و ﴿ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ معطوفة على لفظ الجلالة (الله) تعالى ..

.. وهنا قال بعض الذين لم يستوعبوا عظمة هذه الصياغة اللغويّة : كان يجب أن يقول : « ولكن البر أن تؤمنوا بالله » لأن البر هو الإيمان لا المؤمن .. ونجيب هؤلاء فنقول : بعد أنَّ تمَّ سلب التولية قِبل المشرق والمغرب من كونها عين البرِّ ، من زاوية وصفه كقيمة إيمانيّة : ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ

وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ ، وبعد أن تعلّق اسمُ ليس بالمصدر : ﴿ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ قِ ٱلۡمَشۡرِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ ، اكتمل ما يريده النصُّ – حتى هنا – من وصفٍ للبرِّ كقيمة إيمانيّة مجرَّدة عن تجسيدها من خلال البشر ، وذلك بسلب حالة كونه عين التولية قِبَل المشرق والمغرب ..

.. بعد العبارة الأولى في هذه الآية الكريمة ، عاد النصُّ للحديث عن البرِّ ، من خلال ما نراه بحواسِّنا من أعمال يقوم بها بعض البشر ، لدرجة أصبحوا يتَّصفون بها : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾ ، وبذلك يكون الأمر قد استوفى جانب القيمة المعنويّة من خلال السلب لكون مجرَّد التولية قبل المشرق والمغرب عين البرِّ ، في العبارة الأولى ، ومن خلال جانب القيمة الحسيّة بوصف أفعال يقوم بها بعض البشر ، تُجسِّد لنا حقيقة البرِّ : [[﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ ،، ﴿ وَءَاتَى ﴾ ،، ﴿ وَأَقَامَ ﴾ ،، ﴿ وَءَاتَى ﴾ ،، ﴿ وَءَاتَى ﴾ ،، ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ ﴾]] .. وبهذا يكون النصُّ قد وصف حقيقة البرِّ بجانبيه المعنوي والحسِّي ..

.. ولنتابع الوقوف عند كلمات هذه الآية الكريمة ، كلمة كلمة .. كلمة : ﴿ وَءَاتَى ﴾ فعل ماض معطوف على آمن ، داخل إطار الصلة لاسم الموصول : ﴿ مَنْ ﴾ .. و ﴿ ٱلْمَالَ ﴾ مفعول به ، و ﴿ ذَوِى ﴾ مفعول به علامة نصبه الياء كونه جمعاً لكلمة : ذي ، وكلمة ﴿ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ مضاف إليه ، و ﴿ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ ﴾ معطوفة على ذوي ، والكلمتان ﴿ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ جار ومجرور ، وهنا العطف ما زال مستمرّاً ، إمّا بتقدير : وآتى المال في فكّه للرقاب ، أو : بتقدير التعلّق بخبر (كائنٌ) لاسم لكنَّ ، بمعنى : لكنَّ البرَّ كائنٌ في فكِّ الرقاب .. ويستمر العطف : ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .. و : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ ﴾ عطف على من آمن ، أو خبر لمبتدأ محذوف بتقدير : هم الموفون ، و : ﴿ بِعَهْدِهِمْ ﴾ جار ومجرور متعلّقان ب : ﴿ وَٱلْمُوفُونَ ﴾ كونها جمعاً لاسم فاعل من أوفى .. و : ﴿ إِذَا ﴾ ظرف متعلّق بكلمة ﴿ وَٱلْمُوفُونَ ﴾ ، و الجملة : ﴿ عَـٰهَدُواْ ﴾ من الفعل والفاعل في محل جر بالإضافة كونها بعد الظرف ..

.. حتّى الآن .. نرى توافقاً مع ظاهر قواعد اللغة العربيّة ، فبين أيدينا مجموعة من العبارات المتتالية المعطوفة على بعضها كخبر لكلمة : ﴿ وَلَـٰكِنَّ ﴾ ، وكلّها مرفوعة كون خبرِ الحرف المشبّه بالفعل يأتي مرفوعاً .. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ مَنْ

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ هي خبر لكلمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ .. وأيضاً العبارة القرآنيّة التالية لها مباشرة : ﴿ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ هي خبر لكلمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ .. وأيضاً العبارة القرآنيّة التالية لها مباشرة : ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ هي خبر لكلمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ .. بمعنى ومن أقام الصلاة .. والعبارة القرآنيّة التالية لها مباشرة : ﴿ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ هي خبر لكلمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ .. بمعنى ومن آتى الزكاة .. وأيضاً العبارة القرآنيّة التالية لها مباشرة ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾ هي خبر لكلمة ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ ..

.. الآن .. العبارة التالية مباشرة ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾ ، الكلمة الأولى في هذه العبارة هي كلمة ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وما نراه أنَّها ليست مرفوعة كما هو حال العبارات السابقة لها التي رأيناها خبراً للحرف المشبه بالفعل ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ .. وهنا وقف الجاهلون بحقيقة صياغة هذه العبارات القرآنيّة ، فاتَّهموا كتاب الله تعالى بالخطأ اللغوي ، فما يتخيَّلونه هو لزوم ورودها بالصيغة (والصابرون) ..

.. ما نراه في سياق هذه العبارات القرآنيّة أنَّ كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ معطوفة على اسم : ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ في العبارة : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ ﴾ ، أي معطوفة على كلمة :

﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ .. وبالتالي فكلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوبة كونها اسماً لحرفٍ مشبّهٍ بالفعل .. بمعنى : ولكنَّ الصابرين في البأساءِ والضرّاءِ وحينَ البأس ..

.. يعني : الحرف المشبَّه للفعل : ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ له اسمان أحدهما معطوف على الآخر .. الاسم الأوَّل هو كلمة : ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ ، والاسم المعطوف على هذا الاسمِ الأوَّل هو كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .. لكنَّ الاسم الأوَّل : ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ استوفى خبره قبل ورود الاسم الثاني .. وبعد ذلك جاء الاسمُ الثاني : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ..

.. الآن .. الجملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ هي خبر للاسم الثاني ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .. وفي الوقت ذاته يتعلَّق بها كلُّ ما تقدَّم .. وهنا تكمن عظمة الصياغة اللغويّة في هذه الآية الكريمة ..

.. هذا التأخير لاسم : ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ الثاني ، وهو كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، هو لحكمة إلهيّة عظيمة ، فهنا بذكر الاسم الثاني لكلمة : ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ وهو كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، انتقل السياق من مسألة البرِّ إلى مسألةٍ أُخرى هي : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .. فالله تعالى أراد تبيانَ تعلّقِ الصابرين بدلالات العبارة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ تعلّقاً خاصّاً ، من خلال جعل هذه العبارة خبراً ملاصقاً لكلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .. وفي الوقت ذاته ، أراد للعبارة القرآنيّة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ أن

يتعلّق بها كلٌّ من تمَّ ذكره في السياق السابق لها في هذه الآية الكريمة .. سواءٌ في مسألة البرِّ ، أم في مسألة الصابرين ..

.. ولو نظرنا بعمق في هذا النصِّ الكريم ، وإلى اسمي كلمة : ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ ، وهما كلمتا : [﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ ، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾] لرأينا أنَّ الاسم الأوَّل : ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ يصف تجسيداً لقيمٍ تصف صاحبها بالبرِّ ، في مسائل كلُّها تتعلّق بالبرِّ ، ولا يصف أشخاصاً محدَّدين بعيداً عن مسألة البرِّ : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ ..

.. بينما الاسم الثاني وهو كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ نراه بداية لمسألة أُخرى غير مسألة البرِّ .. وبالتالي .. خبر كلمة : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، الذي – كما نرى – يبتدأ بكلمة : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ ، نرى فيه كلمة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، يتعلّق بها كلٌّ من ورد ذكرهم في السياق السابق ، سواء اسم ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ ﴾ أم خبر : ﴿ ٱلْبِرَّ ﴾ : ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ

ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾ ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بتأخير كلمة : ﴿ **وَٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ ، الاسم الثاني لكلمة : ﴿ **وَلَٰكِنَّ** ﴾ ، إلى ما بعد اكتمال خبر اسمها الأوَّل ﴿ **ٱلْبِرَّ** ﴾ ، ليتم البدء بأمرٍ جديد هو : ﴿ **وَٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ ، ليكون خبره يتعلَّق به في الوقت ذاته كلُّ المذكورين في خبر الاسم الأوَّل ، كما رأينا .. وهذه الدلالات لا يمكن أن تصل إلينا إلاَّ من خلال هذه الصياغة المُعجزة ..

.. أما إعراب كلمة : ﴿ **وَٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ على أنَّها منصوبة بكلمة مفترضة هي أمدح وأخص ، هذه تخريجة غير مقنعة ، فما نراه أنَّ المدحَ المفترض حسب تخريجهم تعلَّق في هذه الآية الكريمة بالصابرين ، دون التعلّق بمن أقام الصلاة .. بينما .. في الآية (١٦٢) في سورة النساء كما سنرى في المثال التالي ، تعلَّق المدح والاختصاص (حسب تخريجهم) بالمقيمين الصلاة .. فالمسألة إذاً بالنسبة لتخريج الاختصاص والمدح ، ليست مبنية على أسس بلاغية متعلّقة بحقيقة الدلالات المحمولة في النصِّ القرآني ..

وهنا أقول لمن يحاولون الإساءة لكتاب الله تعالى ، أنتم ركضتم خلف أهوائكم غير النبيلة ، ولو أنَّكم كنتم من الباحثين عن الحقيقة لوصلتم إليها ، ولأدركتم أنَّ ما تحسبونه نقصاً في صياغةِ كتاب الله تعالى ، هو بلاغةٌ عظيمة نابعة من عظمة صياغة عبارات كتاب الله تعالى ..

وأقول لعابدي أصنام التاريخ الذين يحسبون دلالات كتاب الله تعالى لا تتجاوز ما قاله السابقون ، أقول لهم : أنتم أسوأ من الذين يحاربون كتابَ الله تعالى جهرة ، لأنّكم تمنعون البحثَ في كتاب الله تعالى ، وفي الوقت ذاته تضعون جهالاتِكم بين أيدي الآخرين وتقدِّمونها على أنّها عينُ المنهج ، وبذلك تقدّمون لهم حيثيّات الإساءة لكتاب الله تعالى ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. يقول تعالى ..

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٠ – ١٦٢]

.. هذا النصُّ الكريم يصوِّرُ مسائل تتعلّق بالذين هادوا ، وبدايته : **﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾** تؤكِّدُ ذلك ، ولا خلاف في ذلك .. ومطلع الآية (١٦٢) يصوِّر الراسخين في العلم منهم ، والمؤمنين : **﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾** .. ولا شكَّ أنَّ كلمة **﴿ مِنْهُمْ ﴾** تعود إلى الذين هادوا خاصّة .. وهؤلاء (والمؤمنون) يتَّصفون بأنّهم **﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾** بالأمور التالية :

١ – ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ ﴾ .. يعني : الراسخون في العلم من الذين هادوا ، والمؤمنون ، يؤمنون بما أُنزل في منهج الرسالة الخاتمة ..

٢ – ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ بمعنى : والراسخون في العلم من الذين هادوا ، والمؤمنون ، يؤمنون بما أُنزل من قَبْل الرسالة الخاتمة ..

٣ – ﴿ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ بمعنى : والراسخون في العلم من الذين هادوا ، والمؤمنون ، يؤمنون بالمقيمين الصلاة .. بمعنى : ويطمئنون للمقيمين الصلاة ويثقون بهم ، ليس لشخصهم أو لأمرٍ دنيويٍّ ، وإنّما لكونهم يقيمون الصلات التي أنزلها الله تعالى ، والمشار إليها في العبارتين السابقتين ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ ، وذلك كعملٍ يُجسِّدُ أحكام ما أنزله الله تعالى ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ ، على أرض الواقع ..

.. إذاً .. هذه الصفات الثلاث : ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ ، تتعلّق بالعبارة : ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ، حيث الراسخون في العلم من الذين هادوا والمؤمنون ، يطمئنون بما أُنزل في الرسالة الخاتمة ، ويطمئنون بما أنزل من قَبْلها ، ويطمئنون بالمقيمين الصلاة ..

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾

.. وهكذا .. تكون العبارة ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾ خبراً للعبارة ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ..

.. وتكون العبارات القرآنيّة التالية ﴿ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ ، إمّا معطوفة على العبارة ﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ ، وهذا ما أرجحه ، وإمّا ابتداء جديداً .. وتكون نهاية الآية الكريمة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ خبراً لها ، في حال اعتبارها ابتداءً جديداً ، وخبراً لها ولكلِّ العبارات السابقة ، في حال اعتبارها معطوفة على العبارات السابقة ..

﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾

.. هنا ربّما يستغرب بعض الناس كيف يؤمن هؤلاء بالمقيمين الصلاة ... الإيمان بالمقيمين الصلاة هو الاطمئنان بهم ، ومدُّ جسور الثقة معهم ، كونهم يعملون بحيثيّات ما أنزله الله تعالى : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾ ، فتعلُّق الإيمان بهم لأنّهم عاملون بالصلات التي أنزلها الله تعالى .. وقد ورد في

كتاب الله تعالى الإيمان بمخلوق .. بمعنى الثقة به والاطمئنان إليه .. يقول تعالى واصفاً إيمانَ أهلِ الكتاب بعيسى عليه السلام في عودته في نهايةِ الزمان ..

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩]

.. فالعبارة القرآنيّة **﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾** تصوِّر لنا الإيمان بحقيقة مخلوق ، هو عيسى عليه السلام ، كونه عبداً لله تعالى ، حاملاً لرسالةٍ من الله تعالى إلى البشر .. بمعنى : يعرفون حقيقتَه ويطمئنون بها ، كرسولٍ حاملٍ لمنهج الله تعالى ، فينتهون عن قولهم ثالث ثلاثة ، وبأنَّه إله ، وبأنَّه ابنُ الله تعالى ، تعالى الله عن كلِّ ذلك علواً كبيراً ..

.. ويقول تعالى واصفاً إيمان سحرة فرعون بموسى عليه السلام ..

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣]

فالعبارة القرآنيّة **﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾** تصوِّر لنا الإيمان بمخلوق ، هو موسى عليه السلام ، وذلك عبر الاطمئنان إليه ، والثقة به ، وتصديق عملِه ، وليس الإيمان به كشخصٍ مجرَّدٍ عمّا قام به من عمل .. فالاطمئنان والثقة والتصديق هو للعمل (المعجزة) الذي فتحه الله تعالى على يده ..

.. إذاً .. العبارة القرآنيّة ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ .. تعني يطمئنون بثلاثة أمور ، هي : بما أُنزل في منهج الرسالة الخاتمة ، وبما أُنزل من قَبْلها ، وبالمقيمين الصلاة .. يعني : ويطمئنون بالمقيمين الصلاة ويثقون بهم ويميلون إليهم تصديقاً وثقةً واطمئناناً ، لأنَّهم عاملون بحيثات الصلات التي أنزلها الله تعالى : ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ ..

.. وممّا يؤكّد صحَّةَ ما نذهب إليه ، هو تكرار مسألة الإيمان في ذات الآية ، وفي ذات السياق : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ ..... فالدلالة المعنيّة بالعبارة : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ ، لها حيثياتها المستقلّة تماماً عن الدلالة المحمولة بالعبارة : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ..

.. العبارة القرآنيّة ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، تتعلَّق بحالة فعليّة تصف فعل الراسخين في العلم من الذين هادوا والمؤمنين ، والفعل المضارع ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ يبيّنُ ذلك .. وإيمانهم بهذه الأمور الثلاثة هو ضمن إطارٍ واحد ، يعني هو إيمان بما أنزله الله تعالى في الرسالة الخاتمة وما

قَبْلها وبمقيمي الصلة مع الله تعالى ضمن إطار ما أنزله الله تعالى ، ولذلك نرى الأمور الثلاثة التي يؤمنون بها تتعلّق بباء واحدة ، فالله تعالى لم يقل : ((**يؤمنون بما أُنزل إليك وبما أُنزل من قبلِك وبالمقيمين الصلاة**)) ، فلم يتكرَّر حرف الباء ما بين الأمور الثلاثة ، إنّما تأتي هذه الأمور الثلاثة ضمن إطار مسألة واحدة يؤمن بها الراسخون في العلم من الذين هادوا والمؤمنون ، كمسألة واحدة : **﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾** .... وهذا يؤكّد ما بيَّناه ، أنَّ إيمانهم بالمقيمين الصلاة **﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾** هو لأنَّهم عاملون بالصلات التي بيَّنها الله تعالى إنزالاً من عنده ، والمحمولة بالعبارتين السابقتين : **﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾** .. فإيمانهم بالمقيمين الصلاة متعلِّقٌ بإيمانهم بما أنزله الله تعالى .. وهذا ما نراه بجر المسائل الثلاث : **[[﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ، ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾]]** بباءٍ واحدة ..

.. بينما العبارة القرآنيّة **﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾** تصوِّرُ صفتَهم كحالة يتَّصفون بها ..... وهنا سواء كانت العبارات **﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾** ، ابتداءً ، أم عطفاً على العبارة **﴿ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى**

ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، فكلُّ عبارات هذه الآية الكريمة ، لا يمكن فصلها عن الراسخين في العلم من الذين هادوا والمؤمنين ..

.. في الموروث قال بعضهم عن كلمة ﴿ **وَٱلْمُقِيمِينَ** ﴾ بأنّها منصوبة بكلمة أخصّ وأمدح ، ورأينا أنّه في الآية السابقة كما رأينا ، الآية (١٧٧) في سورة البقرة ، جعلوا كلمة ﴿ **وَٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ هي المنصوبة على الاختصاص وليس إقامة الصلاة .. فالقضية ليست مبنية على قواعد ثابتة ، إنّما هي مسألة تخريج دون النظر في ماهيّة صياغة العبارات القرآنيّة ..

.. إذاً .. عدم الوقوف على حقيقة صياغة النصِّ القرآني من قبل عابدي الموروث ، وتقديم ذلك كقراءة أخيرة للنصِّ القرآني ، ووضع ذلك بين أيدي الطاعنين بكتاب الله تعالى لإعطائهم حيثيات الإساءة له ، كلُّ ذلك يُعَدُّ من أبشع صور التضليل والافتراء والكذب ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. يقول تعالى ..

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ

كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة : ٥٨ – ٦٤]

.. في هذا النصِّ نرى أنَّ السياق المحيط به يتحدَّث عن أحداث حدثت مع بني إسرائيل ومماحكتِهم لموسى عليه السلام ... فهي تصوِّر الأعمال التي قاموا بها والمخالفة للأوامر والنواهي .. لذلك نرى أنَّ العبارة السابقة مباشرة للآية الكريمة

التي نريدُ دراستَها تصوِّر لنا هذه الحقيقة : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٦١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَٰخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ..

.. فالمسألة مسألةُ عمل ومماحكة ، وفي مسألة العمل نرى أنَّ الصابئين شأنُهم شأنُ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، لذلك يدخلون في اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ ..... ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ .. فكما نعلم ، كونُ المسألة داخلة في اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ أقوى من كونها مبتدأً دون الدخول في اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ ، وهذا معلوم في كون ﴿ إِنَّ ﴾ تفيد معنى التأكيد ، فالمبتدأ وخبره حينما تدخل عليهما ﴿ إِنَّ ﴾ ، تزداد الدلالات تأكيداً وقوّةً ..

.. والصابئون هنا من حيث العمل يقعون في إطارٍ واحد مع الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ، لذلك يُجمعون معهم في اسم ﴿ إِنَّ ﴾ وبالتالي فكلمة ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾ نراها منصوبة ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

.. الآن لننظر في النصِّ التالي ..

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ

رُسُلاً ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقۡتُلُونَ ﴾ [المائدة : ٦٥ – ٧٠]

.. في هذا النصِّ الكريم نرى أنَّ المسألة تتعلَّق بالعمل من زاوية الانتماء والتعلّق بالمنهج السماوي ، بمعنى العمل وفق مقتضيات المنهج السماوي ، والآية السابقة مباشرة للآية التي نحن بصدد دراستها تؤكِّد هذه الحقيقة ..

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنًا وَكُفۡرًا ۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

.. ولّما كان تعلُّق الصابئين والنصارى بالأعمال الموجودة في المنهج السماوي أقل من : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، كون الصابئين والنصارى لا تُوجَد عندهم الكثير من أحكام الشريعة السماوية كما هو حال ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، فإنَّ الصابئين والنصارى لم يَرِدُوا في هذا السياق القرآني تحت اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ .. فكما قلنا : ورود المسألة تحت اسم : ﴿ إِنَّ ﴾

أقوى من ورودها مبتدأً دون اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ .. لذلك نرى أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ ، هي ابتداء جديد مستقل عن اسم : ﴿ إِنَّ ﴾ ..

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة : ٦٩]

.. من هنا نرى الحكمة الإلهية العظيمة في ورود كلمتي ﴿ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ مرفوعتين ، وليستا منصوبتين كم هو حال ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، لأنَّ العمل بالشريعة السماوية كأحكام مسطَّرة بين أيدي البشر هي أعلى عند ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ .. ولذلك نُصبت العبارتان ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ ، كاسم لإنَّ ، بينما ﴿ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾ نرى أنَّ تعلُّقَهم بالعمل الشرعي الموجود بين أيدي البشر أقلُّ من الذين آمنوا والذين هادوا ، لذلك رفعتا على الابتداء ، و لم تُؤكَّدا بإن .. ويأتي خبر إنَّ للجميع ، ليتعلَّق بالذين آمنوا والذين هادوا كخبر لاسم إنَّ ، وبالصابئين والنصارى كخبر لمبتدأ ..

.. وهذه المسألة شبيهة بالمسألة المحمولة بقوله تعالى ..

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [التوبة : ٣]

.. فبالتأكيد براءة الله تعالى من المشركين هي براءة مطلقة ، وهي بالتأكيد أعلى من براءة رسوله ﷺ من المشركين ، لذلك نرى أنَّ براءة الله تعالى – هنا – من المشركين جاءت مؤكَّدة ب : ﴿ أَنَّ ﴾ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ ﴾ .. بينما جاءت كلمة : ﴿ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ مبتدأً يُقدَّر خبره ، بمعنى : ورسولُه بريءٌ من المشركين ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. يقول تعالى ..

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠]

.. فما هي الحكمة من رود كلمة : ﴿ وَأَكُن ﴾ مجزومةً ، وهي – كما نرى – معطوفة على كلمة : ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ المنصوبة ؟ ..

.. ما نراه أنَّ الفاء في كلمة ﴿ فَيَقُولَ ﴾ هي الفاء العاطفة السببيّة ، بمعنى : مسبّب عن (أن يأتي) ، ويقول فعل مضارع معطوف على أن يأتي ، وكلمة ﴿ لَوْلَآ ﴾ تحضيضيّة بمعنى هلاَّ ، وتختص بالماضي المؤوَّل عن المضارع ، كون طلب التأخير أمنية تتعلَّق بالحاضر وليس بالماضي ، و ﴿ أَخَّرْتَنِىٓ ﴾ فعل ماض

والتاء فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به ، و ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ ﴾جار مجرور متعلّقان بـــ ﴿ أَخَّرۡتَنِيٓ ﴾ ، و ﴿ قَرِيبٍ﴾ صفة .. والفاء في ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ عاطفة ، وبالتالي نرى فأَصَّدَّقَ منصوبة .. وبهذا يكون المعنى : ربِّ هلاَّ أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ من أجل أن أصَّدَّقَ .. فالتأخير إلى أجلٍ قريبٍ هو وسيلة يريدها القائل من أجل أن يقوم بعمل هو ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ .. وإلى هنا السياق واضح ..

.. فحتّى كلمة ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ لا نرى ما يربط المعنى بالشرط ، فالمعنى ليس : إن أخرتنِ إلى أجلٍ قريب أصَّدق .. لأنَّه من الممكن ألاَّ يصَّدَّق لو تمَّ تأخيره ، والحقيقة أنَّه إن أُخِّر لا يصَّدَّق .. فالله تعالى يقول : ﴿ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ .... وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٧ – ٢٨] .. فتأخير المتمنّي لهذا التأخير إلى أجلٍ قريب لا يقتضي أنَّه سيصَّدَّق كما يزعم ، على الرّغم من أنَّ طلبه للتأخير هو من أجل أن يصدَّق .. وحتى هنا .. لا وجود لأيِّ شرط .. ولذلك نرى كلمة ﴿ فَأَصَّدَّقَ ﴾ منصوبة ..

.. لكن .. إن تصدَّق .. ألا يقتضي ذلك أن يكون من الصالحين ؟ .. بالتأكيد .. من هنا نرى أنَّ العبارة القرآنيّة : ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ تعني :

وعندها ، إن أخرتنِ واصَّدَّقْ أكن من الصالحين .. وهنا تكمن عظمة البلاغة في كتاب الله تعالى ، بوصف التصدّق شرطاً للدخول في ساحة الصالحين .. فكون الإنسان من الصالحين مشروطاً بكونه متصدِّقاً ..

.. ولو جاءت كلمة ﴿ وَأَكُن ﴾ منصوبة : ((**لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصَّدَّقَ وأكون من الصالحين**)) ، لكان المعنى : لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ من أجل أن أصَّدقَ ومن أجل أن أكون من الصالحين .. وفي هذا الحال من ورود كلمة ((**وأكون**)) المفترضة ، بهذه الصيغة ، يكون الانتقال إلى ساحة الصالحين ، هو نتيجة طلب تأخيره ، ولا يقتضي ذلك شرطاً هو التصدّق ..

.. إذاً .. ورود العبارة القرآنيّة ﴿ **رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ** ﴾ بهذه الصيغة ، حيث كلمة ﴿ **فَأَصَّدَّقَ** ﴾ منصوبة وكلمة ﴿ **وَأَكُن** ﴾ مجزومة ، هو قمّة البلاغة ، وليس خطأً لغويّاً ، كما يزعم من لم ولن يروا الحقيقة في حياتهم ، لأنّها ليست هدفهم ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى : ﴿ **وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ** ﴾ [النحل : ١٠٦] .. قالوا : لماذا حُذفت الياء من كلمة : ﴿ **يَسۡرِ** ﴾ ، كان من المفترض أن ترد هذه الكلمة بالصيغة : ((**يسري**)) ؟ ..

.. نقول : ما عدا قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ .. ورد في كتاب الله تعالى القسمُ بحالات من الليل ، بصيغة الماضي ..

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدَّثّر : ٣٣]

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [التكوير : ١٧]

﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق : ١٧]

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى : ٢]

.. وورد القسم بحالات من الليل بصيغة المضارع .. لكن ليس بحالاتٍ تتعلَّق بماهيّة الليل ، وإنّما بتأثيره على غيره :

١ – بحال غشيانه للشمس : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٤] ، فالضمير المتَّصل في كلمة ﴿ يَغۡشَىٰهَا ﴾ يعود على الشمس .. بمعنى : والليل إذا يطمسها ، وهذا لا يكون إلاَّ في الليل ..

٢ – وبحال غشيانه لما يحيط بنا : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [الليل : ١] .. أي : إذا غشي كلَّ ما حولنا بظلامه ، وهذا لا يكون إلاَّ في الليل ..

.. في هذين الحالين ، نرى أنَّ القسم ، هو بحال تأثير الليل على غيره ..

.. لكن .. في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ ، نرى القسم متعلّقاً بحال الليل ذاته ، دون تعلّق بتأثيرٍ على غيره ، فالمعنيُّ هنا هو ماهيّة الليل ككائنٍ مجرَّدٍ عن تأثيره على أيِّ مخلوق ..

.. وقد بيّنت في كتابي (المعجزة) ، أنَّ الليل الكوني (الذي يملأ المكان ما بين الكواكب) هو الأصل ، حيث النهار هو جزء منه .. فالنهار يُسلَخ من هذا الليل الكوني الحاوي على عنصري ((النهار ، الظلام)) ، فيكون الظلام ..

.. أي .. الليل (الكوني) = النهار + الظلام (الليل الأرضي) .. وبالتالي :

الليل (الكوني) – النهار = الظلام (الليل الأرضي)

.. وهذه المعادلة .. تنطق بها الآية الكريمة ..

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [يس : ٣٧]



.. وفي الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ ، نرى أنَّ كلمة : ﴿ يَسۡرِ ﴾ هي فعل مضارع ، من الجذر (س ، ر ، ي) ، وهي بمعنى : يذهب ، ويمضي ، ويسير ، ويجري .. وهذا السريان هو نتيجة لسلخ النهار من الفراغ المحيط بالأرض ، نتيجة وجود جسم الأرض في هذا الفراغ ، ودورانها حول نفسها .. فهذا السريان لماهيّة الليل (بعيداً عن تأثيره على غيره) هو أمر قسريٌّ ، ناتج عن أمرٍ بذلك ، تدور به الأرض حول نفسها ، فينتج هذا السريان ..

.. هذا الأمر .. يتجلى أمام أعيننا بحذف حرف الياء من كلمة ((**يسري**)) لتصبح : ﴿ يَسۡرِ ﴾ ، ومن هذا الجزم لكلمة ((**يسري**)) استنبطنا هذه الدلالة .. فهذه الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ بهذه الصيغة ، نراها تصويراً مطلقاً للحقيقة الكونيّة المحمولة بها ..

.. من هنا نرى عظمة البيان الإلهي بالصيغة : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ ، حيث لا تُوجد صيغة أُخرى تحمل هذا البيان بهذا الاختزال .. وهذا ما نراه أيضاً في كلمة ﴿ نَبۡغِ ﴾ في قوله تعالى التالي المصوِّر للحوار بين موسى عليه السلام وفتاه ..

﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾ [الكهف : ٦٣ - ٦٤]

.. فموسى عليه السلام كان مأموراً من الله تعالى بابتغاء هذا المكان الذي اتَّخذ فيه الحوت سبيله في البحر سرباً .. هذا الأمر نراه بجزم كلمة ﴿ نَبْغِ ﴾ حيث نرى حذف الياء من نهايتها ، وقد بيّنت ذلك في النظريّة الرابعة (الحكمة المطلقة) ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. يقول تعالى ..

﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ .... ﴾ [الأعراف : ١٦٠]

قالوا : وكان يجب أن يُذكَّر العدد ، ويأتي بمفرد المعدود فيقول اثني عشر سبطاً ..

.. معلومٌ أنَّ تمييز الأعداد من (١١) إلى (٩٩) هو مفرد منصوب ، وليس جمعاً : ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ .. ومعلوم أنَّ السبط مُذكَّر فلماذا جاءت ﴿ ٱثْنَتَىْ ﴾ بصيغة التأنيث ؟ ..

.. الذين لم يدركوا – ولا يريدون أن يدركوا – حقيقة الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة ، حسبوا كلمة ﴿ أَسْبَاطًا ﴾ تميزاً للعدد ﴿ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ ﴾ .. ولو عدنا إلى كتاب الله تعالى لرأينا أنَّ مشتقّات الجذر (س ، ب ، ط) تتعلَّق كلُّها بالأسباط ، ويردون ضمن سياقات قرآنيّة تذكر الرسل عليهم السلام ، وأنَّ هؤلاء الأسباط يُعطفون على الرسل عليهم السلام في مسألتي الإنزال والوحي .. ولذلك .. ذهبت بعض التفاسير إلى أنَّهم أبناء يعقوب عليه السلام ..

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ .... ﴾ [البقرة : ١٣٦]

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ .... ﴾ [البقرة : ١٤٠]

﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ....﴾ [البقرة : ٨٤]

﴿ .... وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيۡمَـٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣]

﴿ وَقَطَّعۡنَـٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ .... ﴾ [الأعراف : ١٦٠]

.. العبارة القرآنيّة : ﴿ وَقَطَّعۡنَـٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ ...... ﴾ ، نراها تتحدَّث عن أمورٍ تتعلَّق ببني إسرائيل ، في سياق قصّة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ، وليس في سياقٍ يتحدَّث عن الأسباط ، ولا عن عصرهم كأشخاص أُنزل إليهم ، وأوحي إليهم .. أبداً ..

﴿ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعۡنَـٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب

بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
[الأعراف : ١٥٩ - ١٦٠]

.. فالذين قُطِّعوا اثنتي عشرة قطعةً هم بنو إسرائل .. وتمييز العدد : ﴿ **ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ** ﴾ هو كلمة (**قطعةً**) المُضمرة ، التي يدلُّ عليها الفعل ﴿ **وَقَطَّعْنَٰهُمُ** ﴾ ، أو : (**فرقةً**) ، أو : (**سبيلاً**) ، أو (**خصماً**) ، وكلٌّ ذلك استشفافٌ من السياق .. ولم يُحدَّد التمييز بكلمة موجودة رسماً ، ليشمل كلَّ احتمالات التقطيع والتفريق ، فيكون المعنى أنَّهم مُزِّقوا بهذا التقطيع كلَّ ممزَّق ، فكلُّ حالات التمييز والاختلاف والتخاصم والتفريق محتملة ..

.. وفي هذه الصياغة المفتوحة دون ذكر رسم للتمييز ، نرى أنَّ العبارة : ﴿ **ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ** ﴾ هي حال من المفعول به في كلمة ﴿ **وَقَطَّعْنَٰهُمُ** ﴾ .. أي قطّعناهم ، وفرَّقناهم ، ومزّقناهم ، معدودين بهذا العدد .. لتكون كلمة ﴿ **أَسْبَاطًا** ﴾ بدلاً من ﴿ **ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ** ﴾ ، وتكون كلمة ﴿ **أُمَمًا ۚ** ﴾ بدلاً من كلمة ﴿ **أَسْبَاطًا** ﴾ .. وهذا أبلغ ما يكون في حيثيّات التقطيع ..

.. فكما رأينا عدم ورود التمييز رسماً ، يفتح احتمالات التقطيع والتفريق والتمزيق والخصام والاختلاف والتناحر بينهم على كلِّ الاحتمالات ، وتأتي

العبارات : [[﴿ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ ﴾ ،، ﴿ أَسۡبَاطًا ﴾ ،، ﴿ أُمَمٗاۚ ﴾]] مؤكِّدة حال هذا التقطيع والتفريق والتمزيق .. وهذا أبلغ ما يكون في وصف حالهم ..

.. وعلى الرغم من أنّنا في سياق بحثٍ لغوي .. لكن .. أرى أن أعرض المعادلة التالية ، حيث القيمة العدديّة هي (١٢) ضعفاً للعدد (١٩) ، وهذا يتعلَّق بكون عدد ما قطِّعوه ومزِّقوه هو : (١٢) قطعة ..

﴿ وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ ﴾ = **٢٢٨ = ١٩ × ١٢**

.. فصيغة هذه العبارة (وأيّ عبارة في كتاب الله تعالى) ، هي صيغة مطلقة ، سواءٌ في جانب البيان اللغوي ، أم في جانب الإعجاز العددي ، حيث من المستحيل حذف حرفٍ ، أو زيادة حرف ، أو تبديل حرفٍ بحرف ..

.. وهناك حالة مشابهة لذلك ، في قوله تعالى ..

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾ [الكهف : ٢٥]

.. كلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ هنا ليست تمييزاً ل ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ ﴾ ، فلو أغمضنا أعيننا عن التنوين في العبارة ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ ﴾ ، لجاء التمييز – المُفترَض – بالصيغة ((**سنة**)) ، وبالتالي فالتوهّهم بأنَّ العبارة ﴿ سِنِينَ ﴾ تمييز ، هو خطأ فادح .. وتتجلّى المشكلة بالجاهلين عبر اعتبارهم لها تمميزاً ، ومن ثمَّ الرمي بجهلهم هذا على كتاب الله تعالى ، اتّهاماً له بالخطأ ..

.. هذا النصُّ الكريم جزءٌ من سياقٍ يُصوِّر قصَّة أهل الكهف ، الذين لبثوا هذه المدّة في كهفهم ، وذلك بآليّة بيَّنها الله تعالى بقوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف : ١١] ، فما نراه أنَّ كلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ هنا ، ليست مفعولاً به لكلمة ﴿ فَضَرَبْنَا ﴾ ، فالمفعول به تقديره ((**حجاباً**)) ... كلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ هنا تُبيِّن حال الآليّة التي ضُربت على آذانهم ، فلبثوا في كهفهم هذه المدّة دون أن يحسّوا بالزمن ، كون أنفسهم كانت – في كامل مدّة لبثهم – خارج عالم الزمان والمكان : ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ ﴾ [الكهف : ١٩] ..

.. من هنا نرى أنَّ دلالة كلمة : ﴿ سِنِينَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ، والتي تُبيِّن لنا حال آليّة لبثهم في كهفهم ، هي ذاتها دلالة كلمة : ﴿ سِنِينَ ﴾ في العبارة القرآنيّة قيد البحث : ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ .. فما يتعلَّق بالعبارة : ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ ﴾ الحاملة لهذا العدد (٣٠٠) ، بالتأكيد هو كلمة : ((سنة)) ، حيث تقدَّر تقديراً لوضوحها ، ولكون كلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ تُشير إليها ، كونها جمعاً لكلمة ((سنة)) .. وبالتالي فكلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ ، تُبيِّن حال آليّة لبثهم ..

.. هذا الأمر يتعلَّق بدلالات الجذر اللغوي الذي تفرَّعت منه كلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ ، وهذا يحتاج لبحثٍ مُستقلٍّ ، لأهميّته ، فكلمة ﴿ سِنِينَ ﴾ لا تعني الجدب والقحط كما ذهبت قواميسنا وتفاسيرنا الموروثة ، وفي قوله تعالى التالي لأكبر دليل : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠]

.. فالجدب والقحط ، ذهبت ببيانه العبارة المعطوفة على كلمة ﴿ بِٱلسِّنِينَ ﴾ وهي ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ، فكيف إذاً تكون كلمة ﴿ بِٱلسِّنِينَ ﴾ تعني القحط والجدب ؟ .. وهذا بحث آخر ..... ما يهمّنا في بحثنا هذا هو أنَّ كلمة : ﴿ سِنِينَ ﴾ ليست تمييزاً للعبارة : ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ .. إنّما تُبيِّن لنا حال آليّة لبثهم ، كما بيَّنا ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .... ﴾ [البقرة : ٢٣٤]

.. قالوا : كيف تُعطف كلمة : ﴿ وَعَشْرًا ﴾ ، (حيث حسبوها عشرة أيّام) على العبارة : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ ؟ .. وكيف يكون ذلك ، وكلمة : (**أيّام**) مذكّرة ؟ .. أليس من المعلوم – وفق قواعد اللغة – أنَّه لا بدَّ من المخالفة ؟ ..

.. نقول : كون الشهر هو ما نراه – هنا من على الأرض – من منازل القمر أل ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس : ٣٩] ، حيث كلّ منزلة من منازل القمر ، نعلمها من خلال رؤيتنا لظهور القمر وقدومه إلينا ، في كلِّ ليلة ، فإنَّ الشهر كمدّة زمنيّة هو الزمن المقابل لانقضاء ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة ، وبالتالي فالعبارة القرآنيّة ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ تصوِّر زمناً مقابلاً لانقضاء أربعة أشهر قمريّة ، كلٌّ واحد منها مدَّته تقابل انقضاء ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر .. وكلمة ﴿ وَعَشْرًا ﴾ المعطوفة على العبارة القرآنيّة ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ ، تعني عشرة منازل من منازل القمر في الشهر الخامس ، تضاف إلى الأشهر الأربعة التامّة .. أي : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ = ٤ × (٢٩ أو ٣٠) منزلة ، و ﴿ وَعَشْرًا ﴾ = (١٠) منازل .. لتكون العبارة القرآنيّة : ﴿ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ = ٤ × (٢٩ أو ٣٠) منزلة + (١٠) منازل ..

.. وما نراه أنَّ ورود الصيغة : ﴿ وَعَشۡرٗا ﴾ ، دون الصيغة : ((وَعَشْرَةً)) يؤكِّد ذلك .. فلو كان الأمر متعلِّقاً بالأيّام بعيداً عن منازل القمر ، على الأقلِّ – في هذه الحالة المُفترضة غير الصحيحة – لجاءت العبارة بالشكل : ((**أربعة أشهرٍ وعشرة**)) ، كون كلمة أيّام جمعاً لكلمة (يوم) المذكَّرة ، وهذا تناسبه الصيغة : ((**عشرة أيّام**)) ..

.. بينما .. كون كلمة (منزلة) مؤنَّثة ، وكون الكلمة السابقة لكلمة : ﴿ وَعَشۡرٗا ﴾ هي : ﴿ أَشۡهُرٖ ﴾ ، كجمع لشهر ، والشهر مكونٌ من ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر ، فإنَّ كلمة ﴿ وَعَشۡرٗا ﴾ تعني عشر منازل ، من ((٢٩ أو ٣٠)) منزلة من منازل القمر في الشهر الخامس ، التالي للأشهر الأربعة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴾ [طه : ٦٣]

.. هنا قال الكافرون بكتاب الله تعالى ، كان من المفترض أن ترد كلمة ﴿ هَٰذَٰنِ ﴾ بالصيغة : ((هذين)) ، معتبرين ﴿ إِنۡ ﴾ حرفاً مشبَّهاً بالفعل اسمه

هو كلمة ﴿ هَـٰذَٰنِ ﴾ .. ومن جهلهم هذا ، انطلقوا إلى اتِّهام كتاب الله تعالى بالخطأ ..

.. معلومٌ أنَّ كلمة : ﴿ إِنْ ﴾ هنا مخفَّفة من الثقيلة ، ومهملة إعرابيّاً ، وليست هي الحرف المشبَّه بالفعل (**إنَّ**) الذي اسمه منصوب وخبره مرفوع .. وكلمة : ﴿ هَـٰذَٰنِ ﴾ اسم إشارة للمثنَّى ، يعود على موسى وهارون عليهما السلم ، وهي في محل رفع مبتدأ .. ونرى أنَّ كلمة : ﴿ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ ، اللام المفتوحة فيها ، قيل هي فارقة للتفرقة بينها وبين (إن) النافية ، لكن ، الأهم أنَّها تفيد التأكيد ، وساحران خبر : ﴿ هَـٰذَٰنِ ﴾ ..

.. أصل الجملة هو : هذان ساحران ، وهي مكوَّنة من مبتدأ وخبر .. وهذا يدلُّ على أنَّ (موسى وهارون) – حسب الافتراء عليهما – ساحران .. والعبارة القرآنيّة المفترضة : إنَّ هذين ساحران ، هي تأكيد لكون (موسى وهارون) ساحرين ، فالتأكيد هنا يشمل الجملة كاملة .. وهذا التأكيد – كما نرى – أثَّر على المبتدأ فحوَّله من الرفع (هذان) إلى النصب (هذين) .. والجملة الأُخرى المفترضة : إنَّ هذين لساحران ، تفيد تأكيداً أكبر عبر التصاق حرف اللام بالخبر ، حيث جانب التأكيد الأكبر يتعلَّق بالخبر ..

.. وهنا الجملة : ﴿ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ ، نراها دون أيِّ تأكيد يتعلّق بالمبتدأ : ﴿ هَـٰذَٰنِ ﴾ ، فبقيت على حالها مبتدأً مرفوعاً ، وفي الوقت ذاته نرى الخبر أكثر تأكيداً : ﴿ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ .. وهذه الصياغة مطلقة ، كونها تصف قول سحرة فرعون قبل إيمانهم ، وما يهدفون إليه من قولهم هذا ، هو تقزيم قيمة موسى وهارون عليهما السلام ، حيث تشير إليهما كلمة ﴿ هَـٰذَٰنِ ﴾ ، فبقيت خارج أيِّ تأكيد ، ويهدفون أيضاً إلى تأكيد أنّهما ساحران ، للإساءة لهما وتشويه دعوتهما ، فجاءت كلمة : ﴿ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ مؤكّدة باللام ، وموصوفة بجملة يريدان : ﴿ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ ..

.. فالصياغة القرآنيّة ﴿ إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ ﴾ ، هي وصفٌ مطلقٌ لحقيقة ما كان يدور في نفوسهم وما قاموا بافترائه على موسى وهارون عليهما السلام ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣]

.. قالوا : كون الفاعل ظاهراً وهو كلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، كان يجب حذف الفاعل من كلمة ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ ، لتصبح الجملة بالشكل : ((**وأسرَّ النجوى الذين ظلموا**)) ..

.. لو نظرنا في السياق السابق لهذه العبارة القرآنيّة ﴿ **وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ** ﴾ ، لرأيناه يُخاطب البشر كافّة : ﴿ **ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ** ﴾ [الأنبياء : ١ – ٣] ، واصفاً تعلّقهم بالغفلة ، والإعراض ، واللعب : [[﴿ **فِي غَفۡلَةٖ** ﴾ ،، ﴿ **مُّعۡرِضُونَ** ﴾ ،، ﴿ **يَلۡعَبُونَ** ﴾]] ، حال كونهم ﴿ **لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ** ﴾ .. فإلى هنا اكتمل المعنى في تصوير حال الناس من غفلة وإعراض ولعب ، كونهم لاهيةً قلوبهم ، حيث كلمة ﴿ **لَاهِيَةٗ** ﴾: هي حال لكلِّ هذه الأمور ، وكلمة ﴿ **قُلُوبُهُمۡۗ** ﴾ فاعل ..

.. الآن .. تأتي الجملة الجديدة : ﴿ **وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ** ﴾ ، حيث كلمة : ﴿ **وَأَسَرُّواْ** ﴾ فعل وفاعل ، و ﴿ **ٱلنَّجۡوَى** ﴾ مفعول به ..

.. بعد ذلك تأتي كلمة ﴿ **ٱلَّذِينَ** ﴾ ، وفق احتمالين :

١ – كلمة ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هم ، وجملة ﴿ ظَلَمُواْ ﴾ صلة لاسم الموصول ، وتقدير المعنى : وأسرّوا النجوى ، حال كونهم هم الذين ظلموا .. وهنا نرى ارتباطاً للمعنى بالجملة ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ﴾ ، وبالتالي بالعبارات السابقة أيضاً لهذه الجملة والتي حالها ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ كما رأينا ..

٢ – كلمة : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ، وجملة : ﴿ ظَلَمُواْ ﴾ صلة لاسم الموصول ، والخبر : ﴿ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ .... ﴾ .. وتقدير المعنى : الذين ظلموا يقولون هل هذا إلاَّ بشرٌ مثلكم .... ، كلمة (يقولون) التي قدّرناها تشير إليها العبارة : ﴿ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ .... ﴾ .. ووفق هذا التقدير ، نرى انتقالاً لمعنى جديد يتعلّق بالذين ظلموا وما يقولونه ..

.. في الحالتين .. كلمة : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ليست بدلاً للفاعل : ((حرف الواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾)) .. وهذان الوجهان ليسا تعسّفاً وتنطّعاً .. أبداً .. أيُّ قارئ لكتاب الله تعالى بعمق ، يراهما بوضوح ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤]

.. قالوا : كان من المفترض أن ترد كلمة : ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ مرفوعة ، وذلك كونهم يتخيّلونها فاعلاً ، ويتخيَّلون كلمة ﴿ عَهْدِى ﴾ مفعولاً به ..

.. وهذه الشبهة ناتجة – كغيرها من الشبه – عن جهلهم بدلالات الكلمات القرآنيّة .. فكلمة ﴿ يَنَالُ ﴾ ، تعني : يدرك ..

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران : ٩٢]

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ ﴾ [الأحزاب : ٢٥]

.. وكلمة ﴿ يَنَالُ ﴾ ، تعني : يصيب ..

﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ [المائدة: ٩٤]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٢]

وكلمة ﴿ يَنَالُ ﴾ تعني : يصل إلى :

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الحج : ٣٧]

.. وما نراه أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، تأتي ردَّاً على طلب إبراهيم عليه السلام بجعل الإمامة للناس التي خصَّه الله تعالى بها : ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ ، تدرك وتصيب وتصل إلى بعض ذريّته :

﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ .. فجاء الردُّ على طلب إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، بأنَّ هذه الإمامة للناس ، والتي تتعلّق بعهد الله تعالى ، لا تصيب الظالمين ولا تصل إليهم .. وبالتالي .. فكلمة : ﴿ عَهْدِى ﴾ فاعل ، وكلمة ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ مفعول به ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [هود : ١٠]

.. قالوا : كان من المفروض أن يُجرَّ المُضاف إليه : ﴿ ضَرَّآءَ ﴾ .. وقولهم هذا لأكبر دليلٍ على جهلهم حتى بأبسط قواعد اللغة ، فمع أنَّني لا أجعل كلَّ ما تمَّ تقعيده حجّةً على كتاب الله تعالى ، واعتبر العكس هو الصحيح ، بأنَّ كتاب الله تعالى هو المعيار لما تمَّ تقعيده .. مع ذلك .. أقول : من المعلوم أنَّ الاسم المؤنث الذى ينتهى بألف التأنيث المقصورة مثل : سلوى ، نجوى .... ، أو بألف التأنيث الممدودة مثل : حمراء ، صفراء ، صحراء .... ، سواء كان علماً أم صفة أم اسماً ، وسواء دلَّ على مفرد أم دلَّ على جمع ، فإنَّه ممنوعٌ من الصرف ، ومن المعلوم أنَّ الممنوع من الصرف يُجرُّ بالفتحة عوضاً عن الكسرة ، ما لم يُضف أو يعرف بـــ (أل) التعريف ...... وبالتالي فكلمة : ﴿ ضَرَّآءَ ﴾

هي اسم معتل آخره ألف تأنيث ممدودة ، وبالتالي ممنوعة من الصرف ، وبالتالي تُجرّ بالفتحة عوضاً عن الكسرة ..

.. وهذا التيه بجعل تصوّرات البشر حجّة على كتاب الله تعالى ، نراه أيضاً في اتّهام كتاب الله تعالى بالخطأ وذلك في ورود الكلمتين : **[[﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾** ،، **﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾]]** بالصيغة المنوَّنة ..

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان : ٤]

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٥ – ١٦]

.. ولا أودُّ الردَّ على كلامهم بالقول : إنَّ كلمة **﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾** ليست من أوزان الأسماء الممنوعة من الصرف الخاصَّة بصيغة منتهى الجموع ، وأنَّ : أوزان الأسماء التي على صيغة منتهى الجموع هي : أفاعل ، أفاعيل ، فعائل ، مفاعل ، مفاعيل ، فواعل ، فعاليل .. لا أميل إلى الردِّ بهذا الكلام .. أبداً .. هذا كلُّه رؤى بشريّة ، تمَّ تقعيدها استنباطاً من النصِّ القرآنيِّ ذاته ، والبشر لا يحيطون أبداً بكتاب الله تعالى .. فالقرآن الكريم هو القاعدة ، وهو المعيار ، وورود أيِّ كلمة فيه ، بأيِّ صيغة ، يعني قاعدة يجب الأخذ بها ، وحتّى لو تاه عنها السابقون ، فهذا لا يعني أنَّ صياغة كلمات كتاب الله تعالى أصبحت محكومة لرؤى بعض السابقين ..

.. نحن نعتبر كتاب الله تعالى أمَّ القواعد اللغويّة .. فعلى سبيلِ المثالِ لا الحصر : في قواعِدِنا الإملائيّةِ نَضَعُ أَلِفَ التفريقِ لواوِ الجماعة .. ولكنْ ..... لو عُدنا إلى القرآنِ الكريم لوجدنا أنّ هذه القاعدةَ لا تُشكِّلُ مِعياراً نُعايرُ عليه الرسمَ القرآني ، ولوجدنا أنّ هذه القاعدةَ الإملائيّةَ ليستْ أكثرَ من جُزئيّةٍ في كُليَّةِ النصِّ القرآنيِّ بما يَخُصُّ هذه المسألة ... فالأفعال : ﴿ جَآءُو ﴾ ، ﴿ بَآءُو ﴾ ، ﴿ فَآءُو ﴾ ، في القرآن الكريم تُرسَمُ دونَ أَلِفِ التفريقِ هذه .. ولننظرْ إلى رسمِها في كتابِ الله تعالى ..

﴿ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾ [آل عمران : ١٨٤]

﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف : ١١٦]

﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٦]

﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ..... ﴾ [يوسف : ١٨]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ..... ﴾ [النور : ١١]

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ .... ﴾ [النور : ١٣]

﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ [الفرقان : ٤]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا ﴾ [النمل : ٨٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ... ﴾ [الحشر: ١٠]

﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ﴾ [البقرة : ٦١]

﴿ ..... فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة : ٩٠]

﴿ .... وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ﴾ [آل عمران : ١١٢]

﴿ .... فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٦]

.. إنّنا نرى أنّ هذه الأفعالَ في جميعِ مرّات ورودها بصِيغَةِ الجمعِ ، تُرسَم دونَ أَلِفِ تَفريق ..... وفي الوقت ذاتِه نرى أنّ بعضَ الكلماتِ التي لا يُوضَعُ لها أَلِفُ تفريقٍ في قواعِدِنا الإملائيّة ، يُوضَعُ لها في القرآنِ الكريم أَلِفٌ في نهايتها ، مِثْلَ كلمةِ ﴿ يَتۡلُوا ﴾ ..

.. لننظرْ إلى رسمِها في كتابِ اللهِ تعالى ..

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾ [البقرة : ١٢٩]

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾[البقرة: ١٥١]

﴿ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]

﴿ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ ﴾ [القصص : ٥٩]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الجمعة : ٢]

﴿ رَّسُولاً يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ [الطلاق : ١١]

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ [البينة : ٢]

.. من هنا أرى أنَّ الردَّ في مثل هذه الأمور ، هو أنَّ كتاب الله تعالى هو المعيار ، وليس رؤية فلان وعلاَّن .. فكما قلنا .. في كتاب الله تعالى هناك قواعد لم تكتشف بعد ، فالذين وضعوا قواعد اللغة العربيّة بشرٌ ، ومن الطبيعي أنَّهم لم يحيطوا بكتاب الله تعالى .. ولنقف عند المثال التالي ..

﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف : ٦٣]

.. ما نراه .. أنَّ الهاء في كلمة ﴿ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ ترد بالضمّة .. فما الحكمة من ذلك ؟ ..

.. الواو في كلمة : ﴿ وَمَآ ﴾ اعتراضيّة ، و (ما) نافية ، والكلمة : ﴿ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ مكوَّنة من فعل ماض (أنسى) ، ومن نون الوقاية ، ومن مفعول به أوَّل (الياء) ، ومن مفعول به ثان (الهاء) .. وتأتي بعد ذلك أداة الحصر

﴿ إِلَّا ﴾ ، والفاعل ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ .. والجملة ﴿ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ هي بدل اشتمال من الهاء في كلمة ﴿ أَنْسَىٰنِيهُ ﴾ ، بمعنى : وما أنساني ذكره إلا الشيطان ..

.. إذاً .. الكلمة ﴿ أَنْسَىٰنِيهُ ﴾ ، هي دمج لكلمتين هما : (أنساني) ، (إِيَّاهُ) .. وحذفت الحروف (إِيَّا) من كلمة (إِيَّاهُ) وبقي الحرف (ـــهُ) ، ودُمِج هذا الحرف مع كلمة (أنساني) ، فأصبحت الكلمة كما نراها : ﴿ أَنْسَىٰنِيهُ ﴾ .. وهذه قاعدة محمولة في كتاب الله تعالى .. فلو أردنا محاكاة لغة كتاب الله تعالى لقلنا مثلاً : أطعمنيهُ فلانٌ ، بمعنى : أطعمني إيّاهُ فلانٌ ..

.. وهذا ورد أيضاً في كتاب الله تعالى .. فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص : ٢٣] ، نرى فيه أنَّ كلمة ﴿ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ ، بمعنى : اجعلني كافلها ، وهي جملة مقولة القول ، ومكوَّنة من فعل ، وفاعل مستتر ، ومفعول به أول (الياء) ، ومفعول به ثان (ها) .. وهي مكوَّنة من دمج كلمتين هما : (أكفِلني) ، (إيَّاها) ، فحذفت الحروف (إيَّا) من (إيَّاها) ، وبقي الحرفان (ها) حيث دُمجا مع كلمة (أكفِلني) ، فنتجت كلمة : ﴿ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ ..

.. وهذا ما نراه أيضاً في كلمة ﴿ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر : ٢٢] ..

.. كلمة ﴿ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ ، الفاء فيها عاطفة ، (أسقى) فعل ماض ، (نا) فاعل ، (الكاف) مفعول به أوَّل ، (الميم) علامة جمع الذكور ، (الواو) لإشباع حركة الضمِّ على الميم ، (الهاء) مفعول به ثان .. إذاً .. هذه الكلمة ﴿ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ ، مكوَّنة من دمج كلمتين هما : [(فأسقيناكم) ، (إيّاهُ)] .. وأيضاً هنا حذفت الحروف (إيّا) من (إيّاهُ) ، وبقي الحرف (ــهُ) ، ودُمِج هذا الحرف مع كلمة (فأسقيناكم) ، وأُدخلت الواو لإشباع ضمّة الميم ، فأصبحت الكلمة كما نراها : ﴿ فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ ..

.. وأيضاً .. هذا ما نراه في كلمة : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود : ٢٨] ..

.. كلمة ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ نرى فيها أنَّ الهمزة للاستفهام ، (ونُلزِم) فعل مضارع ، والفاعل مستتر بتقدير (نحن) ، والكاف مفعول به أوَّل ، والميم

علامة جمع الذكور ، والواو لإشباع حركة الضمِّ على الميم ، و (ها) مفعول به ثان ..

.. إذاً .. كلمة : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ ، مكوَّنة من دمج كلمتين ، هما : [(أنُلزِمُكُم) ، (إيّاهُا)] .. وأيضاً هنا حذفت الحروف (إيّا) من (إيَّاها) ، وبقي الحرفان (ها) ، ودُمج هذان الحرفان مع كلمة (أنُلزِمُكُم) ، وأُدخلت الواو لإشباع ضمّة الميم ، فأصبحت الكلمة كما نراها : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا ﴾ ..

.. وهناك حالة أُخرى ، نراها في كتاب الله تعالى ، هي قراءة كلمة ﴿ عَلَيْهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] .. فلماذا الضمَّة فوق الهاء في كلمة ﴿ عَلَيْهُ ﴾ دون الكسرة ؟ ..

.. كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ في جميع مرّات ورودها الأخرى في كتاب الله تعالى ترد بكسر الهاء ، وفي هذا الموضع فقط ترد بضمِّ الهاء ﴿ عَلَيْهُ ﴾ .. وما نراه أنَّها بهذا الموضع متبوعة بلفظ الجلالة : ﴿ ٱللَّهَ ﴾ .... وما نراه أنَّ هاتين الكلمتين : ﴿ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾ بهذا الاقتران ، لم تردا في كتاب الله تعالى إلاَّ في هذا الموضع ..

.. هذا الأمر يتعلَّق بتفخيم اللام في لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ ..... فمن المعلوم أنَّ تفخيم الحرف ناتجٌ عن استعلائه حيث يُضغط هواؤه إلى أعلى الحنك الأعلى

، فيمتلئ الفمُ بصداه ، ويُضخَّم .. ولذلك عرَّف العاملون بالقراءات تفخيم الحرف بأنَّه : سِمَنٌ يعتري الحرف فيمتلئ الفمُ بصداه ..

.. بينما ترقيق الحرف هو بمعنى تنحيف الحرف ، ويكون حين النطق بالحرف دون ضغط هوائه إلى الحنك الأعلى ، وبالتالي لا يربو في الفم ، ولا يمتلئ الفم بصداه .. ولذلك عرَّف العاملون بالقراءات ترقيق الحرف بأنَّه : نُحولٌ يعتري الحرف فلا يمتلئ الفمُ بصداه ..

.. كلمة (الله) تعالى ، هي بالأصل مفخَّمة ، وتبقى مفخَّمة حينما ترد بعد فتحٍ أو ضمٍّ .. وترقَّق بعد كسرٍ ، متَّصلٍ أو منفصلٍ ، وبحيث تتعلَّق بحيثيّات هذا الكسر ..

.. ففي كتاب الله تعالى .. ترقيق لفظ الجلالة (الله) حيث يرد بعد كسرٍ ، له تعلُّقه بحيثيّات هذا الكسر ، فليس الأمر مجرَّد الكسر دون تعلُّقٍ بحيثيّاته .. وهذا ما نراه بشكلٍ واضحٍ حينما نستعرض حالات الترقيق للفظ الجلالة .. مثلاً .. في حالات كون لفظ الجلالة مجروراً بكلمة (في) أو بالباء أو باللام **[[﴿ فِى ٱللَّهِ ﴾** ،، **﴿ بِٱللَّهِ ﴾** ،، **﴿ لِلَّهِ ﴾]]** ... وفي حالات كونها مضافاً إليه لمجرور ، مثلاً : **[[﴿ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾** ،، **﴿ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾** ،، **﴿ رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾]]** .. وهناك حالات تسبقها كلمات نهايتها كسر ، حيث تتعلَّق دلالة لفظ الجلالة بحيثيّات الكلمة السابقة لها ، مثلاً : **[[﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾** ،، **﴿ يَفْتَحِ ٱللَّهُ ﴾** ،، **﴿ أَمِرَ ٱللَّهُ ﴾]]** ..

.. كلُّ حالات ترقيق لفظ الجلالة ، تختلف عن الحالة قيد الدرس : ﴿ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ .. ما نراه أنَّ تعلّق لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ هنا بكلمة ﴿ عَلَيۡهُ ﴾ ليس كتعلُّقها في باقي مرّات ورودها في حالات الترقيق .. لا شكَّ أنَّ تقديم الجار والمجرور ﴿ عَلَيۡهُ ﴾ على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ هو لحكمة مرادة .. لكن .. لو تمَّ تقديم لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ على كلمة ﴿ عَلَيۡهُ ﴾ لا يؤدِّي ذلك إلى ما يؤدّيه حال تقديم لفظ الجلالة على الكلمات السابقة لها ، في حالات الترقيق الواردة في كتاب الله تعالى ..

.. وما نراه أنَّ الواو في كلمة ﴿ وَمَنۡ ﴾ حرف عطف ، مَن : اسم شرط جازم مبتدأ .. ﴿ أَوۡفَىٰ ﴾ فعل الشرط .. ﴿ بِمَا ﴾ جار ومجرور متعلِّقان ب ﴿ أَوۡفَىٰ ﴾ .. ﴿ عَـٰهَدَ ﴾ فعل ماض ، وجملة ﴿ عَـٰهَدَ ﴾ صلة .. ﴿ عَلَيۡهُ ﴾ جار ومجرور متعلِّقان ب ﴿ عَـٰهَدَ ﴾ .. لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ مفعول به .. ﴿ فَسَيُؤۡتِيهِ ﴾ الفاء رابطة لجواب الشرط ، يؤتيه : فعل وفاعل مستتر ومفعول به .. ﴿ أَجۡرًا ﴾ مفعول به ثان .. ﴿ عَظِيمًا ﴾ صفة ..

.. ما نراه .. أنَّ تعلُّق لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ هو ب ﴿ وَمَنۡ ﴾ ، حيث العهد بين الله تعالى وبين المعني بكلمة ﴿ وَمَنۡ ﴾ ، ويتعلَّق لفظ الجلالة أيضاً ب (ما) :

﴿ بِمَا ﴾ ، حيث جملة ﴿ عَـٰهَدَ ﴾ صلته ..... فهناك عهد ﴿ بِمَا عَـٰهَدَ ﴾ بين ﴿ ٱللَّهَ ﴾ تعالى وبين ﴿ وَمَنْ ﴾ .. بمعنى : ومن أوفى بالعهد الذي عاهد اللّه تعالى على تنفيذه ، فسيؤتيه أجراً عظيماً ..

.. فالترقيق للفظ الجلالة حيث يُسبَق بكسرٍ يُعلَّق بحيثيّاته لفظ الجلالة ، ليس متحقّقاً هنا .. كما نرى .. ولذلك لا بدَّ من ورود لفظ الجلالة بالحيثيّة التي يرد بها عادة حينما لا يتعلَّق بحيثيّات الكسر السابق له ، وهي التفخيم .. وهذا ما نراه بالصيغة ﴿ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾ ، الذي تقرأ فيه كلمة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ مفخَّمة .. لتقول لنا هذه العبارة ، بصيغتها هذه : الترقيق ليس لمجرَّد ورود كسرٍ أمام لفظ الجلالة ، وإنّما أيضاً لتعلّق لفظ الجلالة بحيثيّات هذا الكسر ..

وتعلُّق رسم الكلمة بالدلالات المحمولة بها ، نراه يتجلّى في رسم كلمة ﴿ لَتَّخَذْتَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف : ٧٧] ..

.. بالعودة إلى السياق السابق لهذا النصّ نرى أنَّ موسى عليه السلام قد سأل العبد الصالح سؤالين :

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا

تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف : ٧٠ – ٧٧]

.. وبعد قول العبد الصالح لموسى عليه السلام : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ، سأله موسى مرَّتين ، بعد ذلك ، قال موسى عليه السلام : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ .. بعد ذلك .. قال موسى عليه السلام للعبد الصالح : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ..

.. هنا موسى عليه السلام ، لم يُوجِّه سؤاله مباشرة للعبد الصالح ، كونه قال للعبد الصالح : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ ، إنّما أضمر سؤاله بأسلوب مختلف عن سؤاليه السابقين ، فقال : لو شئتَ لسألتك : أتَّخذتَ عليه أجراً ؟ ..

.. فالعبارة القرآنيّة : ﴿ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ . نرى فيها أنَّ :

﴿ لَوۡ ﴾ شرطيّة غير جازمة .. ﴿ شِئۡتَ ﴾ فعل ماض (فعل الشرط) ، وفاعل ..

﴿ لَتَّخَذۡتَ ﴾ اللام واقعة في جواب ﴿ لَوۡ ﴾ .. لكن .. لكلمة مضمرة هي (سألتك) ، هي جواب الشرط ، بتقدير : لو شئتَ لسألتك ..

.. الآن .. يأتي السؤال : أَتَّخذتَ عليه أجراً ؟ .. وهنا في كلمة (أَتَّخذت) ، نرى فيها الهمزة للاستفهام ، حيث تُسقط همزةَ الوصل للاستغناء عنها ، تماماً كما هو الحال في كلمة ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [ص : ٦٣] ، حيث سقطت همزة الوصل استغناءً عنها ، نتيجة دخول همزة الاستفهام ..

.. هذه الدلالة ما كان لنا أن نعلمها إلاَّ بهذه الحيثيّة من الرسم لكلمة : ﴿ لَتَّخَذۡتَ ﴾ ، حيث سقوط همزة الوصل منها ، دلّنا على استفهام متضمَّن ، كما بيَّنا ..

.. من خلال الأمثلة التي رأيناها : [[﴿ أَنسَىٰنِيهُ ﴾ ،، ﴿ عَلَيۡهُ ﴾ ،، ﴿ لَتَّخَذۡتَ ﴾]] ، نرى أنَّه حتّى في لفظ الكلمات القرآنيّة ، يوجدُ إعجازٌ إلهيٌّ يحمل لنا قواعد في نطق الكلمات ، كان من المفروض الوقوف عندها ، واعتمادها في نطقنا .. وأيضاً في رسم الكلمات القرآنيّة المختلف عمّا اعتدنا

عليه ، توجد قواعد تتعلّق بالدلالات المحمولة بها .. وذلك .. كون كتاب الله تعالى يحمل إلينا – أيضاً – تبياناً للغة الفطريّة التي علينا تعلّمها لإدراك دلالاته ..

.. وجهالة بعضهم (تحالفاً مع جهالات الموروث عندنا) ، لم تتوقّف على الجانب النحوي ، فتعدّته إلى تخيّلات بوجود ركاكة في صياغة بعض آيات كتاب الله تعالى ..

.. مثلاً .. في قوله تعالى ..

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة : ١٩٦]

.. قالوا : فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة : ﴿ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ تلافياً لإيضاح الواضح ، ولماذا ذكرت الجملة أصلاً ، أليست المعادلة : (٣ + ٧ = ١٠) ، معادلة يدركها الأطفال ؟ .. فما الفائدة من ذكرها ؟ ..

.. وقد فصّلت دلالات هذه العبارة القرآنيّة في كتابي : المعجزة الكبرى .. وفيما يلي اقتبس النصَّ التالي من كتابي : (المعجزة الكبرى) فيما يخصُّ هذا الأمر ..

[[.. وجذرُ المشكلةِ يَكْمنُ في قول المفسِّرين بأنَّ العبارةَ القرآنيّة : ﴿ **فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ** ﴾ تستثني من الصومِ المذكورِ هنا ، مَنْ أهْلُهُ حاضروا المسجد الحرام .. فبناءً على هذا القول غيرِ السليم تكون العبارةُ القرآنيّةُ ﴿ **تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ** ﴾ لا تعـــني إلاّ أنّ : (**٣ + ٧ = ١٠**) ، وهذا – بالفعل – لا يليقُ بكلامِ اللهِ تعالى المطلق ، الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ..

.. ما تمَّ تغييبُهُ خلالَ التاريخ ، هو أنَّ الأيامَ العشرةَ المفروضـــةَ ككفّـــارةٍ في الحالةِ التي بينَ أيدينا ، والتي لا بُدَّ من صومِها كاملةً ، والمفروضةَ على كلِّ مَنْ لم يستيسرْ الهديُ بين يديه ، سواءٌ كان أهلُهُ حاضري المسجد الحرام ، أم لم يكونوا حاضري المسجد الحرام .. هذه العشرةُ الكاملةُ ، جزّأها الله تعالى إلى : ﴿ **ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ** ﴾ ، كعطاءٍ منه جلّ وعلا لمن أهلُـــهُ ليســـوا حاضري المسجد الحرام .. وهذا ما نقرؤه بشـــكلٍ جلـــيٍّ في لام الاســـتحقاق والعطاء في كَلمة ﴿ **لِمَن** ﴾ في العبـــارة القرآنيّـــة ﴿ **ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ**

حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ .. فالله تعالى لم يقل : (**ذَلِكَ على مَن لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**) ..

.. هذه الأيامُ العشرةُ الكاملةُ التي لا بُدّ من صومِها في الحالةِ التي بينَ أيدينا ، يصومُها مَنْ أهلُهُ حاضرو المسجد الحرام ، دون تفريق ما بين ثلاثة أيام في الحج وسبعة حين الرجوع ، لأنّ هؤلاء يقطن أهلُهم عند المسجد الحرام ، ورجوعُهُم إلى أهلهم لا يتطلّب أياماً كما هو الحال بالنسبة لِمَنْ أهلُهُ ليسوا حاضري المسجد الحرام ..

وبالتالي فالعبارة القرآنيّة ﴿ **إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ** ﴾ لا ترتّبُ عليهم زمناً وجهداً مُعتبراً ، كما هو الحال بالنسبةِ لِمن أهلُهُ ليسوا حاضري المسجد الحرام ، وما يعنيهم هو قولُهُ تعالى ﴿ **ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ** ﴾ ، لأنَّ أهلَهم حاضرو المسجد الحرام .. فالأيامُ السبعةُ يصومُها هؤلاء عند أهلهم حاضري المسجد الحرام ، مع الأيامِ الثلاثة ، لأنّه لا فاصلَ بينَهم وبين رجوعِهم إلى أهلهم .. هذه الحقيقة نراها جليّةً في المسألة الكاملة التالية :

﴿ **ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ** ﴾ = ١٧٨

﴿ **يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ** ﴾ = ١٨٣

١٧٨ + ١٨٣ = **٣٦١ = ١٩ × ١٩**

.. وبالتالي فالكمالُ المعنيُّ ليس في ماهيّةِ العشرةِ كونَها عشرة ، إنّما في كونِ العطاءِ الإلهيِّ بتجزئةِ الأيام العشرة إلى ثلاثةٍ في الحج وسبعةٍ حين الرجـــوع ، لا ينتقصُ من الأجر شيئاً ، بمعنى أنَّهم بذلك العطاء حصلوا على كمال أجر الكفّارة التي يحصلُ عليها من صامَها كاملةً في الحج ..

﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾ = **٩٥ = ١٩ × ٥**

.. فالحُكْمُ القرآنيُّ : ﴿ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ ﴾ ، حكمٌ عامٌ للجميـــع ، سواء من كان أهلُهُ حاضري المسجد الحرام ، أم من لم يكونوا حاضري المسجد الحرام .. وبالتالي فمن لم يستيسرْ مِنَ الهدي لتطبيق هذا الحكم ، من الحـــالتين ، عليه الصيام ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ﴾ ..

.. ولذلك نرى أنَّ هاتين العبارتين القرآنيّتين المتوازنتين في المعنى والدلالات ، تتوازنان في القيم العدديّة بينهما :

﴿ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ ﴾ = **١١٣**

﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ﴾ = **١١٣**

.. أمّا القول بأن مَنْ أهلُهُ حاضروا المسجد الحرام معفيٌّ من الصوم ، فهـــذا قولٌ تردّه الصياغة اللغويّة للعبارات القرآنيّة في هذه الآية الكريمة ، فلو كانَ الأمرُ مجرّدَ أمرٍ خاصٍّ على مَنْ أهلُهُ ليسوا حاضري المسجد الحرام ، ومجـــرّدَ كفّـــارةٍ خاصّةٍ بهؤلاء ، لو كان الأمْرُ كذلك ، لَمَا كان هذا الأمرُ عطاءً وفسحةً يبـــدأُ

كما رأينا بلام الاستحقاق والعطـــاء : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ ﴾ ..

.. إذاً المســـألةُ الكاملـــةُ : ﴿ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾ = **٩٥ = ١٩ × ٥** ، ليست إيضاحاً لما هو واضح ، وليست حشواً لا فائـــدةَ منـــه ، كمـــا يـــزعم المشكّكون بكتاب الله تعالى ، متّكئين على بعضِ أخطـــاءِ تفاســـيرنا التاريخيّـــةِ المغلوطة ..]] .. انتهى الاقتباس ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى .. ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ..

.. قالوا : كان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع ، فيقول : قال له كن فكان .. فما يتخيّلونه أنَّ كلمة : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ ، كان من المفترض أن ترد بالصيغة : (فكان) ..

.. هذه الصيغة : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ ترد في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى ..

﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧]

﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٧]

﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩]

﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [الأنعام : ٧٣]

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠]

﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٣٥]

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢]

﴿ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر : ٦٨]

.. هنا يتجلّى جهل مثيري هذه الشبهة بإدراك دلالات كتاب الله تعالى .. كلٌّ من هذه النصوص الكريمة يُصوِّر المعنيَّ قبل كينونته ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، يصوِّر لنا قول الله تعالى للشيء الذي أراد وجوده ، قبل وجوده في العالم الذي يريد الله تعالى وجوده فيه .. فهذا الشيء المعنيُّ موجودٌ في علم الله تعالى ، ويخاطبه الله تعالى بقوله : ﴿ كُن ﴾ ، بمعنى : أخرج – تجسيداً – إلى عالم الوجود الحسِّي في عالم المادّة والمكان والزمان .. وهنا حتّى هذا القول ﴿ كُن ﴾ لم يكن هذا الشيء المعنيُّ كائناً في عالم وجوده الحسِّي ، فالسياق القرآني – كما نرى – حتّى كلمة : ﴿ كُن ﴾ ، يُصوِّر مرحلة ما قبل وجود هذا الشيء في عالمه الحسِّي : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن ﴾ .. الآن .. بعد صدور الأمر الإلهي لهذا الشيء عبر كلمة ﴿ كُن ﴾ ، بعد ذلك ، وليس قبل ذلك ، سيكون هذا الشيء في عالم المادّة والحسّ الذي أراد الله تعالى له أن يكون فيه .. وهذا تناسبه

صيغة المضارع وليس الماضي ، بمعنى : بعد صدور الأمر الإلهي : ﴿ كُن ﴾ لهذا الشيء ، بعد ذلك يكون ..

.. فكيف إذاً يريدون ورود كلمة (فكان) بدلاً من كلمة : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ في هذه العبارات القرآنيّة ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! .. هل هذا الشيء كان موجوداً في عالمه الحسِّي قبل صدور الأمر الإلهي : ﴿ كُن ﴾ ، ليقولوا لنا : كان من المفروض أن ترد كلمة (فكان) ؟!!!!!!! .. من هنا نرى كيف أنَّ إلقاء الشبهات على كتاب الله تعالى لم يكن منطلقاً من أرضيّة معرفيّة سليمة ، وإنّما هو دون أيِّ منطق ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ [التحريم : ٤] ، قالوا : كيف تأتي كلمة : ﴿ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ بصيغة الجمع ، مع أنَّ المخاطب : ﴿ تَتُوبَآ ﴾ ، هما مثّنى ؟ ..

.. وقد ألقيت الضوء على هذه الصياغة اللغويّة المطلقة لهذه العبارة القرآنيّة ، في بحثي المنشور : (براءة النبي) ، وبيّنت فيه فساد التفسير الموروث لهذه الآيات الكريمة في بداية سورة التحريم .. وفيما يلي اقتبس نصّاً فيما يتعلّق بالردِّ على ملقي هذه الشبهة ..

[[.. وما نراه في قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ أنَّ كلمة : ﴿ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ ترد بصيغة مثنى الجمع ، بمعنى لشخصٍ محمَّدٍ ﷺ قلوب

، ولشخص الزوجة المعنيّة قلوب ، فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ ﴾ [الأحزاب : ٤] ؟!!! ..

.. القلب هو مكمن إرادة الإنسان وتوجّهه ، ولا يعني مجرَّد العضلة الماديّة التي تنبض داخل جسم الإنسان ، فقد يكون الإنسان مريضاً في قلبه دون أن يكون للعضلة التي تضخُّ الدّم في جسمه أيُّ تعلّقٍ بمرضٍ مادِّي : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ ﴾ [البقرة : ١٠] ، فالقلب في كتاب الله تعالى يصف مسألةً معنويّةً تتعلّق بمكمن إرادة الإنسان وتوجّهه ..

.. وقد يكون للإنسان عدّة توجّهات في الوقت ذاته ، بمعنى له رؤى مختلفة في قضيّة ما .. ولكنَّ هذا الإنسان حينما يمشي ويسير في هذه القضيّة لا تكون له إلاَّ إرادة واحدة ، بمعنى توجّه واحد لا ينافسه توجّه آخر ، هذا عندما يجمع أمره ويمشي باتّجاه ما يريد ، وهذا ما تنطق به العبارة القرآنيّة ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ ﴾ ، فكلمة ﴿ لِرَجُلٍ ﴾ لم تُذْكَر عبثاً ، فالمتحرِّك والساعي بقصده وإرادته في أيِّ قضيّة لا يُوجد له إلا توجُّهٌ واحد محمولٌ على إرادة واحدة ، وإلاَّ لما عزم أمره على ذلك ..

وكلمة ﴿ لِرَجُلٍ ﴾ هنا لا تعني الذكر المقابل للأنثى ، إنّما تعني الساعي والمتحرّك بقصده وإرادته باتِّجاه محدَّد ، وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى ..

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٣٨ – ٢٣٩]

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج : ٢٧]

.. إذاً .. كلمة ﴿ **قُلُوبُكُمَا** ۖ ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ **إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا** ۖ ﴾ تعني التوجّهات المختلفة والرؤى المتباينة ، وذلك قبل عزم الأمر على توجّه واحد ، فقبل التوبة لكلٍّ واحدٍ هناك توجّهات مختلفة (قلوب) ، وهذه القلوب تُجمع في توجّهٍ (قلب) واحد ، حينما يتمّ عزم الأمر على التوبة ..

.. أمَّا القول بأنَّ المراد بالجمع ﴿ **قُلُوبُكُمَا** ۖ ﴾ هو التثنية ، وإنما اختير الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان كاليدين والرجلين والعينين ، فلما جرى أكثره على ذلك ذهب بالواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين ، هو قول لا دليل عليه ، ويخالف ظاهر الصياغة القرآنيّة ، وهو نتيجة عدم الإدراك السليم لدلالات آيات كتاب الله تعالى .. **]]** .. انتهى الاقتباس ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢]

.. قالوا : العبارة القرآنيّة : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ تحمل مثّنى ، وبالتالي كان من المفروض أن تأتي كلمة : ﴿ يُرْضُوهُ ﴾ بصيغة المثّنى : (يرضوهما) ..

.. هذه الصيغة القرآنيّة تُبيِّن لنا أنَّ هدف العبادة ليست مرضاة محمَّد ﷺ ، فمحمَّد نبيٌّ حامل لمنهج الله تعالى ، وهو ذاته مُطالب باتّباع منهج الله تعالى ، وأن يعمل على مرضاة الله تعالى ، وذكره مع الله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ نراه بصيغة الرسالة ، التي تعني المنهج ، ولا تعني أبداً الجانب الشخصي ، فمرضاة الله تعالى تكون من خلال سبيلين : إتّباع الفطرة النقيّة الطاهرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، واتِّباع المنهج الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ، وبالنتيجة فمنهج الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ هو مراد الله تعالى ، واتّباعه يؤدّي إلى مرضاة الله تعالى .. إذاً .. دلالات العبارة القرآنيّة ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ بالنتيجة تعني سبيلاً واحداً يتعلَّق بمنهج الله تعالى الذي أراده للبشر ، وبالتالي فالمرضاة هي لله تعالى فقط ، من خلال إتّباع منهجه الذي أنزله على رسوله ﷺ عبر محاكاة الفطرة النقيّة التي فطر الله تعالى الناس عليها ..

.. وفي تبياننا هذا ، لهذه النقطة ، ستكون مشكلتنا مع مثيري هذه الشبهة ، أقلَّ من مشكلتنا مع عابدي أصنام التاريخ ، الذين يجعلون روايات التاريخ ((

مهما بلغة درجة مخالفتها لكتاب الله تعالى والعقل والمنطق)) نصّاً مقدَّساً يملك صلاحية نسخ أحكام كتاب الله تعالى .. فهذه الصيغة : **﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾** ، حيث كلمة : **﴿ يُرۡضُوهُ ﴾** تعود لله تعالى فقط ، تؤكِّد أنَّ السنّة محتواة في قلب النصِّ القرآني ، وأنَّها ليست نصوصاً خارج دفَّتيه ، كما يفترون على الله تعالى ..

.. وهذه المسألة شبيهة بالمسألة المحمولة بالنصِّ التالي ..

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح : ٨ – ٩]

.. فالضمير في الكلمات **[[﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾** ،، **﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾** ، **﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾]]** ، يعود إلى الله تعالى حصراً ، كون الرسول ﷺ مجرَّد حاملٍ لمراد الله تعالى ومنهجه ، وهو مطالب – كغيره – بالانصياع لمنهج الرسالة التي يحملها من الله تعالى إلى البشر ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠]

.. قالوا : كان يجب أن تُجمَع جمع قلة لتطابق السياق : ((**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً معْدودات**)) ، وهذا – والكلام لمثيري الشبهة – ما جاء في سورة آل عمران :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٤]

.. وفي الوقت ذاته قالوا عن كلمة **﴿ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾** في قوله تعالى التالي : كان يجب أن ترد بالصيغة ((**معدودة**)) ، حيث المُراد ((حسب قولهم الذي يأخذونه من قول عابدي أصنام التاريخ)) هو (٣٠) يوماً ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ .... ﴾ [البقرة : ١٨٣ – ١٨٤]

.. نقول : الكلمتان : **[[﴿ مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ ،، ﴿ مَّعْدُودَٰتٍ ۖ ﴾]]** هما من الجذر : (ع ، د ، د) ، ودلالات هذا الجذر اللغوي ليست محصورة في إحصاء المعدود كأعداد مجرَّدة .. أبداً .. فقوله تعالى التالي يؤكِّد ذلك ..

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : ٩٣ – ٩٤]

.. إنَّ حمل العبارة القرآنيّة ﴿ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ على مجرَّد إحصاء مَنْ في السماوات والأرض يتناقض من كون الكلمة السابقة لها مباشرة ﴿ أَحْصَىٰهُمْ ﴾ تصف إحصاءهم ..

.. فعدُّ الشيء يعني اعتباره ، وذكره ..

﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ [ص : ٦٢]

.. وأعدَّ الشيء هيَّأه ..

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة: ٨٩]

من هنا نرى أنَّ دلالات الكلمتين [[﴿ مَّعْدُودَةً ﴾ ،، ﴿ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾]] ، ليست محصورة بمجرَّد الإحصاء ، كعددٍ مجرَّدٍ يتعلَّق بكلمة ﴿ أَيَّامًا ﴾ ..

.. وورود أيِّ كلمة من الكلمتين [[﴿ مَّعْدُودَةً ﴾ ،، ﴿ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾]] في سياقها القرآني ، هو اختيارٌ مطلق يتعلَّق بالدلالات المحمولة في هذا السياق ..

.. فكلمة ﴿ مَّعْدُودَةً ﴾ في قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ هي صفة لكلمة ﴿ أَيَّامًا ﴾ .. بمعنى : قالوا لن تمسّنا النار إلاَّ أياماً معدودة ، بمعنى : مذكورة ومهيّأة ، وبالتالي لها نهاية ، ونخرج من النار ..

.. بينما كلمة ﴿ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ ، تصوِّر لنا : أنَّ المسَّ المعنيَّ الذي لن يكون إلاَّ أيَّاماً معدودة

(مذكورة ومهيَّأة) ، حيث وُصفت بها الأيام في الآية السابقة ، هو في حالاتٍ معدودات (مذكورات ومهيَّآت) ..

.. والسياق القرآني السابق لهذه العبارة القرآنيّة يؤكِّد ذلك ..

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

[آل عمران : ٢٣ - ٢٤]

.. فما غرَّهم في دينهم ((وليس في دين الله تعالى حيث تضاف كلمة : دين ، للضمير : هم **﴿ دِينِهِم ﴾**)) هو افتراؤهم بأنَّ دخول النار لا يكون إلاَّ في حالات معدودات فصَّلوها حسب أهوائهم ، كلُّ حالةٍ منها لا تمسّهم النار فيها إلاَّ أيّاماً معدودة ، وهذا الاعتقاد الفاسد **﴿ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾** ، هو سبب إعراضهم عن كتاب الله تعالى : **﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ ﴾** ..

.. هذا المفهوم المحمول بهاتين الآيتين الكريمتين ، يختزله قولهم ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ ﴾ ، بمعنى : لن تمسَّنا النار إلاَّ أيّاماً معدودة ، حال كونه متعلِّقاً بحالاتٍ معدودات ..

.. هذا البيان الدلالي لكلمة ﴿ مَّعۡدُودَٰتٍۚ ﴾ ، نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ .... ﴾ [البقرة : ١٨٣ – ١٨٤]

.. وقد بيَّنت في كتبي – بما فيه الكفاية – أنَّ هاتين الآيتين الكريمتين ، تتحدَّثان عن الصوم في إطاره العام ، وليس عن صوم رمضان ، فصوم رمضان جاء في الآية التالية لهما مباشرة ..

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ .... ﴾ [البقرة : ١٨٥]

.. إذاً .. قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ ﴾ ، يتعلَّق بحالات الصيام المفروضة إضافة لصيام التطوّع ، كالصوم الواقع على المريض أو الذي به أذى من رأسه ، أثناء تأدية مناسك الحج ، وكالذي يتمتَّع بالعمرة إلى الحج ، فيقع عليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة بعد رجوعه إلى أهله ، وكالصوم الذي يقع على من

يقتل مؤمناً خطأً من قومٍ بيننا وبينهم ميثاق ، فيقع عليه صيام شهرين متتابعين ، وكمن يقع عليه الصوم ثلاثة أيّام ككفارة ليمين تم عقده ، وكصيام شهرين متتابعين يقع على الذين يظاهرون من نسائهم ثمَّ يعودن لما قالوا ..

.. إذاً .. نحن أمام حالات معدودات (مذكورات) ، كلٌّ منها يتوجَّب فيها الصوم أيّاماً معدودة (مذكورة في كتاب الله تعالى) .. وهذا هو عين ما تنطق به العبارة القرآنيّة : ﴿ **أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ** ﴾ في قوله تعالى : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ** ﴾ .. بمعنى : كُتب عليكم الصيام أياماً معدودة ، تتعلَّق بحالاتٍ معدودات (مذكورات) من الصيام ..... وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى ..

﴿ **۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** ﴾
[البقرة : ٢٠٣]

.. أيضاً هنا التقدير لكلمة : ﴿ **مَّعْدُودَٰتٍۚ** ﴾ ، هو : واذكروا الله تعالى في أيَّامٍ (لا شكَّ أنَّها معدودة) ، تتعلَّق بحالاتٍ معدودات من الذكر والعبادة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ **هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ**

وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ .... ﴾ [يونس : ٢٢ – ٢٣]

.. قالوا : يوجد إختلال صارخ في إستعمال الضمائر ، ومراوحة في إستعمال ضميري المخاطب والغائب في غير محلها ، فكان من المفروض أن يقول : هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وفرِحتم بِهَا ..

وفالوا أيضاً : العبارة القرآنيّة ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ، كان من المفترض أن تأتي بالشكل : ((**جاءتها ريحٌ عاصفةٌ**)) ، مثل الصيغة في قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ [الأنبياء : ٨١] ..

.. نقول : هذا الانتقال ما بين صيغتي المخاطب والغائب ، وأحياناً بين صيغتي المفرد والجمع ، هو صياغة مطلقة تصف وصفاً مطلقاً حقيقة ما يصفه النصُّ ، وقد بيّنت في أبحاثي الكثير من هذه اللفتات اللغويّة ..

.. في سورة الفاتحة مثلاً ، والتي يحفظها المسلمون عن ظهر قلب ، نرى أنَّه بعد إثبات الحمد لله تعالى ، كإله ، وكربٍّ ، وكرحمن ، وكرحيم ، وكمالك ليوم الدين ، حيث صيغة الغائب : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ ، بعد هذا الإثبات ، وهذا الاعتقاد ، يتمُّ

الانتقال إلى صيغة المخاطب ، حيث الحضور والقرب : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ .. فالانتقال ما بين هاتين الصيغتين ، هو من مقتضيات الصياغة المطلقة التي يحملها النصُّ القرآني .. وكما قلت .. وقفت في أبحاثي على عدّة مسائل يتمُّ فيها الانتقال ما بين صيغتي الغائب والمخاطب ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .. ومثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .. ولا مجال لشرح ذلك في هذا السياق ، فمن يودُّ الاطلاع على ذلك ، فأبحاثي كلُّها منشورة على موقعي ..

.. في النصِّ الكريم الذي بين أيدينا قيد الدراسة ، نرى أنَّ قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ﴾ ، يُصوِّر لنا سنّة كونيّة هي تسيير الله تعالى لنا في البرِّ والبحر ، وأنَّ أيّاً منّا يستفيد من هذه السنّة ، وهذا أمرٌ يشمل جميع البشر دون استثناء ، مؤمنين كانوا أم كافرين ، طائعين كانوا أم عاصين .. ولذلك نرى صيغة المخاطب ، كونه لا يُوجد من البشر من هو خارج هذه السنّة والاستفادة منها ..

.. لكن .. العبارات التالية لها : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ .... ﴾ ، تنقلنا – كما نرى – إلى حالةٍ أُخرى ، لا تصفُ سنَّةً كونيّةً من سنن الله تعالى ، وإنّما تصف حال الجاحدين بعطاء الله تعالى لهم .. فهؤلاء .. حصلت معهم عدّة أمور متتالية تؤكّد جحودهم وبغيهم في الأرض ، وهذا ليس سنّةً كونيّةً تشمل جميع البشر ، وإنّما الجاحد الباغي منهم فقط .. ولذلك نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بالانتقال إلى صيغة الغائب ..

.. ولو فرضنا جدلاً أنَّها استمرَّت بصيغة المخاطب ، كما يتوهَّم مثيرو هذه الشبهة ، لأصبح هناك خلل ، كونه في هذه الحالة المفترضة يكون جميع البشر جاحدين باغين .. فهل كلُّ البشر عندما يظنّون أنَّهم أُحيط بهم ويدعون الله تعالى مخلصين له الدين ويستجيب لهم فينجيهم ، هل كلُّهم يبغون في الأرض بغير الحقِّ ؟!!! .. أم أنَّ قسماً منهم فقط هو من يفعل ذلك ؟ .. من يتذوَّق روح صياغة النصِّ القرآني بفطرة نقيّة ، وبإدرك لقواعد اللغة ، يُدرك أنَّ هذا الانتقال من صيغة المخاطب إلى صيغة الغائب ، ضرورة لا بدَّ منها لتصوير الدلالات المحمولة بهذا النصِّ ..

.. أمَّا يالنسبة لقولهم : صياغة العبارة القرآنيّة ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ ، كان من المفترض أن ترد بالصيغة : ((**جاءتها ريحٌ عاصفةٌ**)) .. نقول : كلمة ﴿ رِيحٌ ﴾ مؤنّثة في جميع مرّات ورودها في كتاب الله تعالى .. وها هي في باقي مرّات ورودها ، عدا العبارة قيد الدرس ..

﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [آل عمران : ١١٧]

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٤٦]

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾ [يونس : ٢٢]

﴿ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤]

﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍۖ ﴾ [إبراهيم : ١٨]

﴿ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ﴾ [الإسراء : ٦٩]

﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ [الأنبياء : ٨١]

﴿ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١]

﴿ وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحًا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرًّا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١]

﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب : ٩]

﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ : ١٢]

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦]

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصّلت : ١٦]

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ﴾ [الشورى : ٣٣]

﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف : ٢٤]

﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ – ٤٢]

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ [القمر : ١٩]

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحاقّة : ٦ – ٧]

.. الضمير المذكّر في كلمة ﴿ فَرَأَوْهُ ﴾ في الآية الكريمة : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ ، يعود إلى المحمول بالريح ، وليس إلى الريح دون المحمول بها ، فالريح دون المحمول بها لا تُرى أصلاً ..

.. ووصف الريح ب ﴿ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ لا يعني أنَّها مذكَّر ، أبداً ، فالآية التالية مباشرة لهذا الوصف تؤكِّد ذلك .. وسنرى أنَّ صغية (فعيل) يتساوى فيها المذكَّر والمؤنَّث ..

﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ – ٤٢]

.. والعبارة ﴿ رِيحٗا صَرۡصَرٗا ﴾ لا تعني أنَّ الريح مذكَّر ، أبداً ، فقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الحاقّة : ٦ – ٧] ، يقطع الشكَّ باليقين بأنَّ الريح مؤنَّثة ..

.. إذاً .. الريح في جميع مرّات ورودها في كتاب الله تعالى مؤنَّثة ، وفي ذات الآية الكريمة التي أثاروا بها هذه الشبهة ، نرى ورود الريح بصيغة المؤنَّث ﴿ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ ..... وفي ذات العبارة التي أثاروا فيها الشبهة : ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ ، نرى أنَّ الريح مؤنّثة ، فالضمير المتَّصل في كلمة ﴿ جَآءَتۡهَا ﴾ واضح وبيِّن ..

.. من هنا نرى أنَّ صيغة التذكير في كلمة ﴿ عَاصِفٞ ﴾ في قوله تعالى ﴿ جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾ ، لا تتعلَّق بالريح ، وإنّما بإعصار تحمله الريح ، بتقدير

: جاءهما ريحٌ فيها إعصارٌ عاصف .. ولولا صيغة التذكير هذه ، ما كنّا لنصل إلى هذه الدلالة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧] .. قالوا : فلماذا لم يتبع خبر لعلَّ اسمها في التأنيث فيقول ((**قريبة**)) ؟ .. فكلمة ﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾ مؤنّثة ، وحسب وهمهم لا بدَّ أن يكون خبرها ﴿ قَرِيبٌ ﴾ مؤنّثاً ، أي بالصيغة : ((**قريبة**)) ..

.. أقول : فضلاً عن القول بأنَّ المراد هو مجيء الساعة ، فإنَّه من المعلوم في كتاب الله تعالى أنَّ وزن (فعيل) يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث ، كما هو في كلمة ﴿ عَقِيمٌ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : ٢٩]

.. وكما هو الحال في كلمة ﴿ ٱلۡعَقِيمَ ﴾ التي تصف ﴿ ٱلرِّيحَ ﴾ المؤنّثة – كما رأينا – في قوله تعالى التالي ..

﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ – ٤٢]

.. وكلمة ((**قريبة**)) بهذه الصيغة لم تأت في كتاب الله تعالى أصلاً ، فما يرد بدلاً منها للحالات المؤنّثة هو كلمة : **﴿ قَرِيبٌ ﴾** ..

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦]

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٦٣]

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى : ١٧]

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة : ١٧]

.. قالوا : وكان عليه أن يقول : فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره و تركه في ظلمات لا يبصر ..

.. هنا يبلغ جهلهم ذروته ، فعميت أبصارهم عن كون المثل يضربه الله تعالى للذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فسواء السياق السابق ، أم اللاحق ، نراه يتعلّق بالجمع المتعلّق بالذين اشتروا الضلالة بالهدى ..

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ

ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٦ - ١٨]

.. المسألة باختصار .. الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فكانت تجارتهم خاسرة ، وضلوا طريق الهداية ، ليس لديهم بصيرة ولا وعي ولا إدراك ولا تحليل ولا منطق ، فهم لم يُبصروا حقيقة الهدى على الرُّغم من وجوده بين أيديهم ، ولذلك فقد اشتروا الضلالة بالهدى .. فالذين اشتروا الضلالة بالهدى ، مشكلتهم ليست عدم وجود الهدى بين أيديهم ، وإنّما فقدانهم للوعي والإدراك والبصيرة التي بها يُدركون الهدى ..

.. هذا الحال يُشبِّهه الله تعالى كما يلي :

.. الهدى الموجود بين أيديهم ، يُشبِّهه الله تعالى بصور العالم المُحيط بهم ، والتي يحملها الضوء الواصل إلى أعينهم نتيجة نارٍ استوقدها إنسانٌ ما .. وهنا تمَّ اختيار صيغة المفرد : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ﴾ ، لإطلاق المسألة ، بعدم حصر مصدر الضوء بهم هم ، فمهما كان مصدر الضوء من أيٍّ كان ، من أحدهم ، أو من غيرهم ، المهم هو أنَّه تمت إضاءة ما حول مستوقد النار ، وبالتالي ما حولهم كون الضوء ينتشر في كلِّ الجهات حاملاً صور الأمكنة إلى أعين المشاهدين ..

.. وعدم إدراكهم للهدى الذي بين أيديهم ، نتيجة فقدانهم لإمكانيّة الوعي والإبصار في تحليل الأمور ، يُشبِّهه الله تعالى بفقدانهم لإمكانية التحليل والإدراك

والوعي لكلِّ الصور الواصلة إلى أعينهم ، والمحمولة بهذا الضوء .. وبالتالي فهم في ظلمات لا يُبصرون على الرغم من وصول صور العالم المُحيط بهم إلى أعينهم ، كما أنَّهم لم يُبصروا الهداية على الرّغم من وجودها بين أيديهم ..

.. إذاً .. العبارة : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ جاءت بصيغة المفرد في مسألة إشعال النار وإنتاج الضوء منها ، لتقول لنا ، مهما كان مصدر الضوء ، سواءٌ من هؤلاء ، أم من آخر .. ولو جاءت هذه الصيغة بالجمع – كما يتخيَّل مثيرو هذه الشبهة – لكانت لا تخرج عن هؤلاء المعنيين ، ولكان هناك احتمال أنَّهم من الممكن أن يستفيدوا من ضوء النار التي يستوقدها غيرهم ..

.. والعبارة القرآنيّة : ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ تُبيِّن انتشار الضوء في كلِّ الاتّجاهات ، وبالتالي وصوله إليهم ، حاملاً إلى أعينهم صور الأمكنة التي وقع عليها ..

.. بعد ذلك .. حيث وصلت صور الأماكن المحيطة بهم إلى أعينهم ، يعود النصُّ إلى الذين يُضرب المثل بهم وهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وكيف أنَّهم لم يستفيدوا من الضوء الواصل إلى أعينهم (مهما كان مصدره) ، كون بصيرتهم التي بها يتمُّ الإدراك والتحليل ، قد ذهبت نتيجة أنَّهم اشتروا الضلالة بالهدى ، وبالتالي بقوا غارقين في دياجير الظلام ..

.. مُشكلة مثيري هذه الشبهة حول كتاب الله تعالى ، وغيرها ، أنّهم من المعنيّين بهذا المثل ، فمهما بلغت الأدلّة التي تُثبت عظمة صياغة كتاب الله تعالى بين أيديهم ، لن يروا منها شيئاً ، لأنَّ بصيرتهم مفقودة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل : ١٠٦]

.. قالوا : كان من المفترض أن تأتي كلمة ((**فعليه**)) بدلاً من كلمة **﴿ فَعَلَيۡهِمۡ ﴾** .. وكلمة ((وله)) بدلاً من كلمة **﴿ وَلَهُمۡ ﴾** .. وكان من المفترض إكمال الجملة الأولى بأن يُخبرنا النصُّ بما سيحدث لمن يكفر بالله من بعد إيمانه ..

.. اقتطاع هذه الآية الكريمة من سياقها القرآني ، مع الجهل بثوابت اللغة ، مع عدم امتلاك الإرادة الصادقة في معرفة الحقِّ .. كلٌّ ذلك أدّى بهم إلى تبنّي هذه الشبهة ... لننظر في السياق السابق لهذه الآية الكريمة ..

﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ

مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل : ١٠٥ – ١٠٦]

.. ما نراه في هذا النصِّ الكريم .. أنَّ : ﴿ إِنَّمَا ﴾ كافّة ومكفوفة ، و : ﴿ يَفۡتَرِي ﴾ فعل مضارع ، و : ﴿ ٱلۡكَذِبَ ﴾ مفعول به مُقدَّم ، و : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ فاعل مؤخَّر ، و : ﴿ لَا ﴾ نافية ، و : ﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ فعل مضارع ، و : ﴿ بِـَٔايَٰتِ ﴾ جار ومجرور ، و كلمة لفظ الجلالة : ﴿ ٱللَّهِ ﴾ مضاف إليه ، والجملة : ﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ صلة .. ونرى أنَّ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الواو اعتراضيّة ، وكلمة أولئك مبتدأ ، و : ﴿ هُمُ ﴾ ضمير فصل ، وممكن إعرابها على أنَّها مبتدأ ثاني ، و : ﴿ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ خبر أولئك ، أو هم .. والجملة : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ جملة اعتراضيّة ، بين البدل ، والمبدل منه في الآية الكريمة اللاحقة ..

.. الآن .. كلمة : ﴿ مَن ﴾ في بداية الآية الثانية ، هي بدل من كلمة : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، بمعنى : إنّما يفتري الكذب مَن كفر بالله من بعد إيمانه إلاَّ من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. وهنا .. نرى ورود الجملة الاعتراضيّة : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ ، بين المُبدل : ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ والمبدل منه : ﴿ مَن ﴾ ، تحمل

دلالة يتعلَّق بها السياق السابق واللاحق في الوقت ذاته .. فسواءٌ : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ، أم : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ ،كلاهما يتّصفون بما تحمله الجملة الاعتراضيّة بينهما ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ ..

.. إذاً عندنا حتّى الآن صنفان يفتريان الكذب ، الصنف الأوَّل هو : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ، والصنف الثاني هو : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ ، وكلاهما يصفه الله تعالى بدلالات الجملة الاعتراضيّة بينهما : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ ..

.. الآن .. كلمة ﴿ وَلَـٰكِن ﴾ ، تفتتح لنا صنفاً ثالثاً هو ﴿ مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ ، حيث كلمة ﴿ مَّن ﴾ مبتدأ ، و ﴿ شَرَحَ ﴾ فعل الشرط ، و ﴿ بِٱلْكُفْرِ ﴾ جار ومجرور متعلّقان بشرح ، و ﴿ صَدْرًا ﴾ مفعول به ..

وبالتالي فنحن أمام ثلاثة أصناف :

١ - ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾

٢ - ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾

٣ - ﴿ مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾

.. وتأتي بعد ذلك الفاء الرابطة في كلمة : ﴿ فَعَلَيْهِمْ ﴾ ، لتربط جملة جواب الشرط : ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ بجملة فعل الشرط : ﴿ مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ .. وفي الوقت ذاته ، لتصف الأصناف السابقة جميعها ، حيث كلمة : ﴿ فَعَلَيْهِمْ ﴾ وكلمة ﴿ وَلَهُمْ ﴾ ، هما بصيغة الجمع لتشملا الأصناف الثلاثة ..

.. لا يمكن لأيِّ صيغة أُخرى – مهما كانت – أن تُعطي هذا المعنى العميق .. فربط الصنف الثالث ﴿ مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ مباشرة بجملة جواب الشرط ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .. وتعلّق الصنفين الثاني والثالث بالجملة الاعتراضيّة بينهما ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ۝١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن ﴾ .. واستحقاق الأصناف الثلاثة لما تحمله العبارة القرآنيّة ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، كون كلمتي [[﴿ فَعَلَيْهِمْ ﴾ ،، ﴿ وَلَهُمْ ﴾]] بصيغة الجمع كما نرى .. كلُّ ذلك صياغة مطلقة ، تتعلَّق بكون نصوص كتاب الله تعالى قولَ الله تعالى ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ [الحج : ١٩]

.. قالوا : كان من المفترض أن يقول : هذان خصمان اختصما في ربِّهما ..

.. وهذه الشبهة أقلُّ من أن يُردَّ عليها ، فمن المعلوم أنَّ كلمة خصم تعني العداوة والخلاف مع طرفٍ آخر ، وإن وردت بصيغة المثنى ﴿ خَصۡمَانِ ﴾ فتعني فريقين ، دون تحديدٍ لعدد أفراد كلِّ فريق ..

﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص : ٢١ - ٢٣]

.. وشبيه ذلك كلمة طائفة ، حيث كلمة : ﴿ طَآئِفَتَانِ ﴾ تعني مجموعتين كلٌّ منهما مكوَّنة من أفراد ..

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ

فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩]

.. عندما يقع الاقتتال بين طائفتين ، هل تمسك كل طائفة سيفاً واحداً وتضرب به ؟!!! .. أم يشتبك الأفراد من الطائفتين فيما بينهم ؟ .. وبالتالي فالاقتتال يكون بين مجاميع الأفراد من الطائفتين ... ولذلك نرى صيغة الجمع : ﴿ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ ..

.. هنا أيضاً .. عندما يختصم خصمان (فريقان) ، فالخلاف والجدال والاختلاف يكون بين مجموعي أفرادهما ، وبالتالي تناسبه صيغة الجمع : ﴿ ۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ ﴾ ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥]

.. قالوا : كان من المفروض أن تُستبدل كلمة : ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ : بكلمة : (**أُظْهِرُهَا**) ..

.. ما نراه أنَّ كلمة ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ تتعلَّق ب ﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾ ، وليس بإتيانها ، فصيغة التأنيث واضحة في كلمة ﴿ ءَاتِيَةٌ ﴾ ، وفي الضمير المتَّصل في كلمة ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ ..

.. و ﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾ هي الانقلاب الكوني الذي هو نهاية هذا العالم الذي نعيش فيه ، وهو عالم الامتحان ، الذي نُجزى فيه على سعينا فيما بعد الساعة .. ف ﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾ كحيثيّات انقلاب كوني تتغيّر بها نواميس هذا العالم ، ﴿ ءَاتِيَةٌ ﴾ .. بمعنى : عناصر الكون الذي نُمتحن فيه ، تسير باتِّجاه نقطة الانقلاب الكوني ، حيث تنقلب النواميس التي تحكم عالمنا ، رأساً على عقب ، وهذا ما تحمله كلمة ﴿ ءَاتِيَةٌ ﴾ .. وكلمة ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ تؤكِّد ذلك ، فإخفاء الشيء لا يعني عدم وجوده ، إنّما يعني جعله خارج ساحة الاطِّلاع المباشر للآخرين عليه ..

﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١]

﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب : ٣٧]

﴿ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ﴾ [الممتحنة : ١]

.. إذاً .. نقطة الانقلاب الكوني ﴿ ٱلسَّاعَةَ ﴾ التي تنقلب فيها النواميس الحاكمة لحركة حياتنا الدنيا هذه التي نُمتحن فيها ، مسألة آتية ، تسير إليها كلُّ عناصر الكون ، وهي أمرٌ واقعٌ ، وليس مخفيَّاً على العلماء ، لكنَّه قريبٌ من الخفاء ، حيث تحتاج رؤيته إلى رفع الغطاء العلمي عن ذلك .. وهذا عين ما تنطق به العبارة القرآنيّة ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ..

.. والجملة ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ اعتراضية بين الجملة ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ ، وبين الجملة ﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ ، حيث لام التعليل في كلمة ﴿ لِتُجْزَىٰ ﴾ واضحة .. فإتيان الساعة هو من أجل أن تُجزى كلُّ نفسٍ بما تسعى ..

.. ولو جاءت الجملة الاعتراضيّة ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ بالصيغة ((**أكاد أُظْهِرُهَا**)) ، لكانت الساعة كانقلاب كوني ، خارج نواميس الكون الذي نعيش فيه ..

.. وما نراه أنَّ العبارة القرآنيّة ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ صياغة مطلقة ، تحمل مسألة كاملة ، ومستقلّة (كجملة اعتراضيّة) عن سياقها السابق واللاحق .. ولذلك فهي كاملة في معيار معجزة إحدى الكُبَر ..

﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ = ٧٦ = ١٩ × ٤

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى :

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النساء : ١٧٦].

.. قالوا : ما الحكمة من ورود الكلمتين : ﴿ رِّجَالاً وَنِسَآءً ﴾ خلف الكلمة : ﴿ إِخْوَةً ﴾ ؟ .. أليست كلمة : ﴿ إِخْوَةً ﴾ تعني الذكور والإناث كونها تصف جنس الإخوة ، كما هو في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] ؟ ..

.. نقول : ما نراه في آية الكلالة الكليّة ، هو ذكر نسبة ميراث أخت من أخيها ، أو أُخت من أختها : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ﴾ ، حيث كلمة : ﴿ ٱمْرُؤٌاْ ﴾ تعني الذكر والأنثى .. وميراث أخ من أخته ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ﴾ .. وميراث أختين من أخيهما ، أو أختهما : ﴿ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ .. وميراث إخوة ثلاثة فما فوق ، مكوّنين من ذكور وإناث ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ .. وحالة وجود أخ ذكر فقط يرث من أخيه ، واضحة أنّه يرثه ، فما دام يرث أخته فبالتأكيد يرث أخيه ..

.. لكن .. تبقى هناك حالات أُخرى تنقسم إلى :

١ – إخوة ذكور فقط

٢ – إخوة إناث فقط

٣ – إخوة من ذكور وإناث

.. وهنا تأتي العبارة القرآنيّة : ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ ﴾ ، حاملة لهذه الاحتمالات مجتمعةً ، وتأتي بعدها العبارة القرآنيّة : ﴿ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ ﴾ ، لتخصّص حالاً من هذه الاحتمالات ، هو احتمال وجود الجنسين معاً ، ليكون التوزيع فيما بينهم : ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ ﴾ .. ففي حال كون الورثة مكوَّنين من ذكور وإناث ، فالتوزيع بينهم هو للذكر مثل حظ الأنثيين .. وبالتالي فالاحتمالان الباقيان (ذكور فقط ، إناث فقط) يتمُّ فيهما تقاسم الميراث بالتساوي ..

.. فالعبارة : ﴿ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ ﴾ ليست بدلاً كما ذهب موروثنا ، للأسف ، هي حال مُخصِّصة لوجود الجنسين معاً ، من جملة الحالات غير المذكورة في هذه الآية الكريمة ، ليكون التوزيع فيما بينهم وفق الحكم : ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ ﴾ .. وبالتالي فحالتا ذكور فقط ، أو إناث فقط ، يتمُّ فيهما تقاسم الميراث بالتساوي ..

.. من هنا نرى عظم الصياغة القرآنيّة بهذه الحيثيّة من الورود ، فالصيغة الوحيدة التي تُغطِّي الأحكام لكلِّ الاحتمالات ، هي فقط وفقط لا غير الصيغة الواردة في كتاب الله تعالى .. وتأتي العبارات التالية لهذه العبارة مباشرة ، لتؤكِّد ضرورة النظر في هذه الصياغة القرآنيّة لاستنباط الأحكام : ﴿ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ

رِّجَالاً وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٣ - ١٣٢]

.. قالوا : لماذا ورد ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ بالجمع عن المفرد ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ، فمن الخطأ تغيير اسم العلم في السجع المتكلّف ..

.. نقول : من قال بأنَّ الاسم ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ هو جمع للاسم ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ؟!!! .. من قال ذلك ؟!!! .. وحتّى لو فرضنا جدلاً أنَّ ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ هي بمعنى ((**آل ياسين**)) ، فإنَّ ذلك ليس جمعاً لكلمة ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ..

.. ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ، و ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ هما اسمان لشخصٍ واحد ، كما أنَّ : ﴿ مُّحَمَّدٌ ﴾ و ﴿ أَحْمَدُ ﷺ ﴾ هما اسمان لشخصٍ واحد ، كما أنَّ الرسمين :

﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ يعودان لشخصٍ واحد .. وورود الكلمات في كتاب الله تعالى هو معجزة مطلقة يستحيل فيها تغير كلمة بكلمة ، بل يستحيل فيها تغير الكلمة من مكانها ..

.. وقد بيّنت في كتبي أنَّ مجموع ورود أسماء الرسل عليهم السلام ، في كتاب الله تعالى ، يساوي بالضبط مجموع مشتقّات الجذر : (ر ، س ، ل) .. فكلٌّ منهما يرد بمجموع : (**٥١٣ = ١٩ × ٢٧**) ..

﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾ مرّة واحدة ،، ﴿ أَحْمَدُ ﴾ مرّة واحـــدة ،، ﴿ إِدْرِيسَ ﴾ مرّتين ،، ﴿ ذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ مرّتين ،، ﴿ إِلْيَاسَ ﴾ مرّتين ،، ﴿ ٱلْيَسَعَ ﴾ مرّتين ،، ﴿ لُقْمَـٰنَ ﴾ مرّتين ،، ﴿ أَيُّوبَ ﴾ (٤) مرّات ،، ﴿ يُونُسَ ﴾ (٤) مرّات ،، ﴿ مُحَمَّدٌ ﴾ (٤) مرّات ،، ﴿ يَحْيَىٰ ﴾ (٥) مرّات ،، ﴿ هُودًا ﴾ (٧) مرّات ،، ﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ (٧) مرات ،، ﴿ صَـٰلِحًا ﴾ (٩) مـــرّات ،، ﴿ شُعَيْبًا ﴾ (١١) مرّة ،، ﴿ إِسْمَـٰعِيلَ ﴾ (١٢) مرّة ،، ﴿ يَعْقُوبَ ﴾ (١٦) مـــرّة ،، ﴿ دَاوُۥدُ ﴾ (١٦) مرّة ،، ﴿ إِسْحَـٰقَ ﴾ (١٧) مرّة ،، ﴿ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ (١٧) مرّة ،، ﴿ هَـٰرُونَ ﴾ (٢٠) مرّة ،، ﴿ ءَادَمَ ﴾ (٢٥) مرّة ،، ﴿ عِيسَى ﴾

(٢٥) مـــرّة ،، ﴿ لُوطٍ ﴾ (٢٧) مـــرّة ،، ﴿ يُوسُفُ ﴾ (٢٧) مـــرّة ،، ﴿ نُوحٌ ﴾ (٤٣) مرّة ،، [﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ ، ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾] (٦٩) مـــرّة ،، ﴿ مُوسَىٰ ﴾ (١٣٦) مرّة ..

.. إذاً لدينا (٢٨) اسماً ، مجموع ورودها في القرآن الكريم هو (**٥١٣**) مرّة .. ولو قمنا بجمع عدد مرّات ورود جميع مشتقّات الجذر (ر ، س ، ل) في القرآن الكريم ، لرأينا أنَّ هذا المجموع هو أيضاً (**٥١٣**) مرّة ..

.. واقتطع النصَّ التالي من كتابي : النظريّة الرابعة (الحكمـــة المطلقـــة) ، كدليل من جملة الأدلّة التي بيّنتها ، على استحالة تغيير موقع الاسم ، في كتـــاب الله تعالى .... فكلٌّ من الاسمين : **[[﴿ إِلْيَاسَ ﴾ ، و ﴿ إِلْ يَاسِينَ ﴾]]** ، ورودُهما بهذا التمايز للشخص ذاته ، وفي موقع ورودهما ، هو معجزة ..

[[ولو قمنا بترتيب الأسماء القرآنيّة الممثّلة لقمّة مسألة الرســالة والنبــوّة ، حسب ترتيب بداية ورودها في القرآن الكريم ، وقمنا بأخذ جداء ترتيب بدايـــة ورود كلّ اسم من هذه الأسماء مع عدد وروده في القرآن الكريم ، وقمنا بجمـــع الناتج جمعاً تراكميّاً ، لحصلنا على الجدول التالي ..

إذاً .. في الجدول التالي .. العمودُ الأوَّلُ رُتِّبَتْ فيهِ أسماءُ الأنبياءِ والمُرســلين عليهم السلام ، حَسْبَ أسبقيّةِ بدايةِ وُرودِهم في القرآنِ الكريم ، حيثُ يشـــمَلُ العمودُ الثاني من هذا الجدولِ ترتيبِ بِدايةِ الورود في القرآنِ الكريم ، ويشـــملُ

العمودُ الرابعُ اسمَ السورةِ ورقمَ الآية التي تحتوي بِدايةَ وُرودِ الاسم .. ويشـــملُ العمودُ الثالثُ عَددَ مرّاتِ ورودِ الاسمِ في القرآنِ الكريم .. وفي العمودِ الخامس جِداءُ ترتيبِ بدايةِ الورودِ في عددِ مرّاتِ الورود .. وفي العمودِ السادِس الجمـــعُ التراكمي لِنتائجِ العمودِ الخامِس .. هذه المُقدِّماتُ كُلُّها قُرآنيَّةٌ ..

الاسم	ترتيب بداية وروده في القرآن الكريم	عدد مرّات وروده في القرآن الكريم	بداية وروده في القرآن الكريم	جداء ترتيب بداية الورود بعدد مرّات الورود	الجمع التراكمي
آدم	١	٢٥	البقرة : ٣١	١×٢٥= ٢٥	٢٥
موسى	٢	١٣٦	البقرة : ٥١	٢×١٣٦= ٢٧٢	٢٩٧
عيسى	٣	٢٥	البقرة : ٨٧	٣×٢٥= ٧٥	٣٧٢
سليمان	٤	١٧	البقرة : ١٠٢	٤×١٧= ٦٨	٤٤٠
إبراهيم	٥	٦٩	البقرة : ١٢٤	٥×٦٩= ٣٤٥	٧٨٥

إسماعيل	٦	١٢	البقرة : ١٢٥	٦×١٢= ٧٢	٨٥٧
يعقوب	٧	١٦	البقرة : ١٣٢	٧×١٦= ١١٢	٩٦٩
إسحاق	٨	١٧	البقرة : ١٣٣	٨×١٧= ١٣٦	١١٠٥
هارون	٩	٢٠	البقرة : ٢٤٨	٩×٢٠= ١٨٠	١٢٨٥
داود	١٠	١٦	البقرة : ٢٥١	١٠×١٦= ١٦٠	١٤٤٥
نوح	١١	٤٣	آل عمران : ٣٣	١١×٤٣= ٤٧٣	١٩١٨
زكريا	١٢	٧	آل عمران : ٣٧	١٢×٧= ٨٤	٢٠٠٢
يحيى	١٣	٥	آل عمران : ٣٩	١٣×٥= ٦٥	٢٠٦٧
محمد	١٤	٤	آل عمران : ١٤٤	١٤×٤= ٥٦	٢١٢٣
أيوب	١٥	٤	النساء : ١٦٣	١٥×٤= ٦٠	٢١٨٣
يونس	١٦	٤	النساء :	١٦×٤=	٢٢٤٧

			١٦٣	٦٤	
يوسف	١٧	٢٧	الأنعام : ٨٤	١٧×٢٧= ٤٥٩	٢٧٠٦
إلياس	١٨	٢	الأنعام : ٨٥	١٨×٢= ٣٦	٢٧٤٢
اليسع	١٩	٢	الأنعام : ٨٦	١٩×٢= ٣٨	٢٧٨٠
لوط	٢٠	٢٧	الأنعام : ٨٦	٢٠×٢٧= ٥٤٠	٣٣٢٠
هود	٢١	٧	الأعراف : ٦٥	٢١×٧= ١٤٧	٣٤٦٧
صالح	٢٢	٩	الأعراف : ٧٣	٢٢×٩= ١٩٨	٣٦٦٥
شعيب	٢٣	١١	الأعراف : ٨٥	٢٣×١١= ٢٥٣	٣٩١٨
إدريس	٢٤	٢	مريم : ٥٦	٢٤×٢= ٤٨	٣٩٦٦
ذا الكفل	٢٥	٢	الأنبياء : ٨٥	٢٥×٢= ٥٠	٤٠١٦
لقمان	٢٦	٢	لقمان : ١٢	٢٦×٢= ٥٢	٤٠٦٨
إل	٢٧	١	الصافات :	٢٧×١=	٤٠٩٥

ياسين			١٣٠	٢٧	
أحمد	٢٨	١	الصف : ٦	٢٨×١= ٢٨	**٤١٢٣**

.. إنّنا نرى أنّ المجموعَ التراكميَّ هو العددُ : **٤١٢٣** ، وهو من مضاعفات العدد (١٩) : **٤١٢٣ = ١٩ × ٢١٧** ..

.. ونرى أيضاً أنّ هناكَ تَوازُناً بينَ ترتيبِ بدايةِ ورودِ هذه الأسماء ، وبـــينَ عددِ مرّاتِ ورودِها .... هذا التوازنُ نراهُ بينَ مجموعِ عددِ مرّاتِ ورودِ الأسمـــاءِ ذاتِ الترتيبِ الفرديِّ في هذا الجدولِ ، وبينَ مجموعِ عددِ مرّاتِ ورودِ الأسمـــاءِ ذاتِ الترتيبِ الزوجيِّ فيه ..

.. فمجموعُ ورودِ الأسماءِ ذاتِ الترتيبِ الفرديِّ هو :

٢٥ +٢٥+٦٩+١٦+٢٠+٤٣+٥+٤+٢٧+٢+٧+١١+٢+١ = **٢٥٧**

ومجموعُ ورودِ الأسماءِ ذاتِ الترتيبِ الزوجيِّ قريبٌ جداً من هذا الـــرقم ، وهو :

١٣٦+١٧+١٢+١٧+١٦+٧+٤+٤+٢+٢٧+٩+٢+٢+١ = **٢٥٦**]]

.. انتهى الاقتباس ..

.. هذا جزء بسيط من الأدلّة التي أوردتها في كتبي ، كبرهان على استحالة حذف اسم من أسماء الرسل عليهم السلام ، أو تبديله ، أو تغيير مكانه ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٧٨ – ٧٩]

.. قالوا : التناقض ما بين هاتين الآيتين جاء متعاقباً ، إذ تقول الآية الأولى إن الخير والشر مصدرهما الله تعالى ، بينما تعلن الآية التالية لها أن الخير من الله تعالى والشر من الإنسان ..

.. لقد بيّنت دلالات هاتين الآيتين في كتابي : النظريّة الثانية (القَدَر) .. وفيما يلي اقتباسٌ من هذا الكتاب ، فيما يخصُّ هذا الأمر ..

[[وكثيرون هم الذين يُفتنون بالأسباب ، ويحسبون أنفسهم أصيلين في هذا الكون ، وكأنّهم خالقون ومبدعون لهذه الأسباب .. ولو رجع هؤلاء إلى حقيقة الأمر لرأوا أنّهم عاجزون عن توجيه هذه الأسباب الماديّة ، باتّجاه صنعة تعمل بذاتها وتتوالد وتتكاثر ، كأن يوجّهوا هذه الأسباب باتّجاه خلق ذبابة ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣]

ولو كان الوصول إلى الأشياء – في هذه الحياة الدنيا – بعيداً عن الأخذ بالأسباب ، لما كان هناك اختيار في المعصية والطاعة في ساحة المادّة والمكان والزمان (ساحة امتحان الإنسان وهي ساحة الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال) ، لأنَّ الإرادة – في هذه الحالة المفترضة – لن تصل إلى مشيئة .. لذلك يُعَدُّ العمل والجد والأخذ بالأسباب من أهم مقوّمات الخلافة التي عهدها الله تعالى للإنسان ، ومن الأوامر التي جاء بها المنهج الإلهي .. فأسباب الدنيا تعمل للجميع مؤمنين وكافرين ، وتستجيب أكثر لمن يتعامل معها بإتقان أكبر ..

ولكنَّ الفارق بين المؤمنين والكافرين ، أنَّ المؤمنين يأخذون بالأسباب ويعملون بها بما أمر الله تعالى به ، وهم يعلمون أنَّ مرجعها إلى الله تعالى ، وأنّها تعمل بقوّته وبمشيئته .. أمّا غير المؤمنين فيأخذون بالأسباب ويعملون بها ، معتقدين أنّها مستقلّة عن قوّة الله تعالى ومشيئته ..

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٧٨]

إنَّ عدم إدراكهم لمسألة الأسباب وبأنّها جميعها تعمل بقوّة الله تعالى ومشيئته ، جعلهم يرجعون أسباب ما يصيبهم من سيئآت إلى غيرهم ، ولذلك يقولون

﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ ، أي بسببك ، ونتيجة للأسباب التي جلبتها علينا ، ومردّ ذلك هو عدم إدراكهم أنَّ مرجعيّة الأسباب وماهيّتها هي لله تعالى ، ولذلك جاء الردّ الإلهي ﴿ قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ .. فهذه الآية الكريمة تصوّر لنا مرجعيّة الأسباب ، وبأنّها في خلقها وإيجادها وتسخيرها ، تعود إلى الله تعالى ، وهذا عين ما تنطق به العبارة القرآنيّة ﴿ قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ ..

وتأتي الآية التالية لها مباشرة لتصوّر لنا حقيقة ، هي أنَّ الحسنات والسيئات في تفاعلنا مع الأسباب ، لا تعود للأسباب ذاتها ، إنّما تعود لغاية البشر وإرادتهم في توجيه هذه الأسباب ، وإلى التفاعل معها وفق القصد الذي تريده النفس .. فالأسباب التي يستخدمها بعض البشر باتّجاه الخير ، هي ذاتها يستخدمها بعضهم الآخر باتّجاه الشر ، وما يحدّد ذلك هو غاية البشر في توجيه هذه الأسباب باتّجاه الخير ، أو الشر ، وبالتالي الحصول على الحسنات أو السيئآت ..

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء : ٧٩]

إنَّ إرادة اختيار الأخذ بالأسباب والتفاعل معها باتّجاه الخير والحسنات ، مردّه التزام الإرادة بمنهج الله تعالى الذي اختاره للبشر وأمرهم الالتزام به ، والهادف إلى الخير وكلّ ما يؤدّي إلى الحسنات .. فإرادة الخير المؤدّية للحسنات

تنبع من الذات الملتزمة بتنفيذ منهج الله تعالى وحكمه ، وبالتالي فمردّ ذلك هو الله تعالى مترل هذا المنهج .. وهذا ما نقرؤه من العبارة ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ ..

.. أمّا إرادة اختيار الأخذ بالأسباب والتفاعل معها باتّجاه الشرّ والسيئات ، فمردّه خضوع الإرادة لهوى النفس ، بعيداً عن منهج الله تعالى ، وبالتالي فمردّ اختيار هذه الذات هو نفس الإنسان ، وهذا ما نقرؤه من العبارة ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ ..

وهكذا .. فالإرادة الإنسانيّة الشريرة تعود للنفس البشريّة ، وتناقض إرادة الله تعالى الشرعيّة .. فالله تعالى لا يريد للبشر إلاّ الخير ، ولا يريد لهم الشرّ أبداً ..

]] .. انتهى الاقتباس ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [التين : ١ – ٤] ..... قالوا : فلماذا قال : ﴿ سِينِينَ ﴾ بالجمع عن ﴿ سَيۡنَآءَ ﴾ ؟ ، فمن الخطأ لغويّاً تغيير اسم العلم حبّاً في السجع المتكلّف ..

.. ما نراه أنَّ كلمتي [[﴿ سَيۡنَآءَ ﴾ ،، ﴿ سِينِينَ ﴾]] تردان كمضاف إليه لكلمة : ﴿ طُورِ ﴾ ..

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾
[المؤمنون : ٢٠]

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ١ – ٤]

.. وكلمة ﴿ طُورِ ﴾ لم تأت في كتاب الله تعالى نكرة ، إنَّما جاءت في هذين الموضعين معرَّفة تعريف إضافة : [[﴿ طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ ،، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾]] ، وجاءت في باقي مرّات ورودها معرّفةً بأل التعريف ..

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة : ٦٣]

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة : ٩٣]

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٤]

﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم : ٥٢]

﴿ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ ﴾ [طه : ٨٠]

﴿ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ﴾ [القصص : ٢٩]

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص : ٤٦]

﴿ وَٱلطُّورِ ﴾ [الطور : ١]

.. تعريف ﴿ ٱلطُّورِ ﴾ بأل التعريف ، وكمكان يُوجد فيه الطور ، ناتجٌ عن إضافته لكلمة : ﴿ سِينِينَ ﴾ ، فالله تعالى يُقسم بالمكان الخاص الذي يوجد فيه الطور : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ .. فكلمة ﴿ سِينِينَ ﴾ تصف المكان الخاص الذي فيه الطور ..

.. بينما العبارة القرآنيّة : ﴿ طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ ، تصف المنطقة الأوسع التي فيها المكان : (**طور سينين**) ، وهي المنطقة التي تخرج منها الشجرة المعنيّة بقوله تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ ﴾ .. فالمكان الموصوف بالعبارة ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ ، محتوى في المنطقة الموصوفة بالعبارة : ﴿ طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ ..

.. وهذا يماثل الكلمتين : [[﴿ مَكَّةَ ﴾ ، ﴿ بَكَّةَ ﴾]] ، حيث ﴿ بَكَّةَ ﴾ هي المكان الذي فيه المسجد الحرام ، و ﴿ مَكَّةَ ﴾ هي المساحة الأوسع المحيطة ب ﴿ بَكَّةَ ﴾ ..

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الفتح : ٢٤]

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ١٥]

.. قالوا : لا يُوجد جواب لما جاء بعد ﴿ فَلَمَّا ﴾ .. وأنَّه كان من المفروض حذف الواو من كلمة ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾ لتكون الجملة من أوحينا وما بعدها هي الجواب ..

.. ما نراه أنَّ هذه الآية الكريمة هي ضمن سياقٍ يقصُّ علينا ما حصل مع يوسف عليه السلام ، وهذه الآية الكريمة ، ليست مقتصرة على معلومة واحدة (كما يتوهّمون) هي الوحي إليه لّما أجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب ..

﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف : ١٣ - ١٦]

.. بهذه الصيغة .. نرى ما يلي :

١ – الاستمرار في السرد القصصي للأحداث التي وقت مع يوسف عليه السلام ، فبعد قولهم لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنّا إذاً لخاسرون ، ذهبوا به ، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب ، وأوحى الله تعالى إليه ، وجاؤوا أباهم عشاء يبكون .. ولو جاءت الآية الكريمة بالصيغة التي تخيَّلوها : ((فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب أوحينا إليه لتنبئنَّهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون)) ، لكانت الدلالة منفصلة عن السياق القصصي في سرد الأحداث ، ولا تحمل إلاَّ هذه المعلومة ..

٢ – بهذه الصيغة الإعجازيّة نرى أنَّه هناك جملة مُقدَّرة نستشفّها من السياق هي : كنَّا معه حافظين .. أي : فلمّا ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجبِّ ، كنّا معه حافظين ..

٣ – الواو في كلمة ﴿ **وَأَوۡحَيۡنَآ** ﴾ ، تبيِّن لنا أنَّ الوحي إليه لم يكن مجرَّدَ جوابٍ للذهاب به والإجماع على جعله في غيابت الجب .. فلو حذفت الواو – كما يتخيَّل مثيرو هذه الشبهة – لكان الوحي إليه مجرَّدَ جوابٍ لذلك ..

.. فوجود هذه الواو في كلمة ﴿ **وَأَوۡحَيۡنَآ** ﴾ ، ينهي كون الوحي إليه محصوراً بحالة الجواب لذهابهم به وإجماعهم بجعله في غيابت الجب ..

٤ – هذه الصيغة الإعجازيّة تبيِّن لنا أنَّه منذ أن ذهبوا به ، كان على تواصل مع وحي الله تعالى ، أي : (فلما ذهبوا .... ولمّا أوحينا إليه ....) ،

فالوحي ليس منفصلاً عنه منذ أن ذهبوا به ، وهذا له تعلّقه أيضاً بجواب : ﴿ فَلَمَّا ﴾ المقدَّر : كنَّا معه حافظين .. فحفظ الله تعالى (ووحيه) رافقه منذ أن ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجبِّ ، إلى ما بعد جعله حقيقة في غيابت الجبِّ ..

.. وهذه الواو في كلمة ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾ ، نرى لها شبيهاً في قوله تعالى ..

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢ – ١٠٥]

.. فالعبارات : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ ﴾ ، تفيد أنَّ المناداة لإبراهيم بأنَّه قد صدَّق الرؤيا ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ ﴾ ، مرافقة للحالة ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾ .. وليست متأخِّرة عنها ..

.. من هنا نرى عظمة الصياغة القرآنيّة بهذه الحيثيّة .. فكلُّ هذه الدلالات ، وغيرها ، لا تصل إلينا إلاَّ بهذه الحيثيّة من الصياغة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ١٣]

قالوا : كلمة ﴿ مِّنْهُ ۚ ﴾ لا محل لها من الإعراب ، فلا داعي لذكرها ..

.. ما نراه أنَّ كلمة ﴿ جَمِيعًا ﴾ هي حال من ﴿ مَّا ﴾ .. وكذلك كلمة ﴿ مِّنْهُ ۚ ﴾ هي حال من ﴿ مَّا ﴾ .. وكلُّ حالٍ من هذين الحالين ، يُعطي دلالة ضروريّة ..

.. كلمة ﴿ جَمِيعًا ﴾ تفيد عدم استثناء أيٍّ ممَّا في السماوات وممَّا في الأرض ، من هذا التسخير .. وتفيد في الوقت ذاته أنَّ تسخير ما في السماوات وما في الأرض ، ليس مجرَّد تسخيرٍ لكلِّ عنصر بمعزل عن التكامل مع تسخير بقيّة العناصر ، فالتسخير للجميع متكامل في إطار هدف واحدٍ ، كون المُسخِّر هو الله تعالى ، والتسخير هو لخدمة الإنسان ... وهذا كلّه .. تضيفه دلالة الحال : ﴿ جَمِيعًا ﴾ ..

.. لكن .. هذا التسخير .. من أين منبعه ؟ .. ولمن يعود الأمر فيه إيجاداً وتوجيهاً ؟ .. هل هو تسخير لعناصر خارجة عن إيجاد الله تعالى لها ، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، والتسخير مجرَّد أوامر بالخدمة ، كتسخير بعضنا لبعض ؟ .. أم هو تسخيرٌ يعود إلى الله تعالى إيجاداً لهذه المسخّرات ، وإعطاءً لحيثيات وجودها لها في كلِّ لحظة ، وأمراً لها بالقيام بهذا التسخير ؟ .. وهنا تأتي كلمة ﴿ مِّنْهُ ۚ ﴾

كحالٍ ثانية تبيّن لنا أنَّ هذا التسخير هو بكلِّ حيثيّاته من إيجاد المسخّرات إلى الأمر لها بالتسخير إلى إعطائها القدرة على القيام بذلك ، هو من عند الله تعالى ، ويعود إليه .. بمعنى : سخَّرها كائنةً منه جلَّ وعلا في كلِّ شيء ..

.. فكيف إذاً لا داعي لكلمة : ﴿ مِّنْهُ ﴾ في سياق هذه الآية الكريمة ؟!!!!!!! .. كيف ؟!!!!!!! .. المسألة بالنسبة لهؤلاء هي إلقاء بالكلام على عواهنه ، دون إدراكٍ حتى لما يخرج من أفواههم ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى ..

﴿ .... وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ .... ﴾ [النور : ٣١]

.. قالوا : كان من المفروض أن تُستبدل كلمة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ هنا بكلمة ((**الأطفال**)) لتكون العبارة : ((**أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء**)) ..

.. كلمة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ نرى فيها أنَّ أل التعريف جنسيّة ، فهذه الكلمة تصف جنس الأطفال ، وهذا أعمق في الدلالة من ورود كلمة ﴿ ٱلْأَطْفَـٰلُ ﴾ ، التي لم

ترد إلاّ مرّة واحدة في كتاب الله تعالى .. فكلمة ﴿ ٱلْأَطْفَـٰلُ ﴾ هي جمع لأفراد ، كلٌّ واحدٍ منهم لم يبلغ مرحلة الحلم ..

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور : ٥٩]

.. بينما كلمة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ كمحاكاة لدلالة مصدر الجذر (ط ، ف ، ل) ، تصف جوهر الفطرة الإنسانيّة ، قبل تلوّثها بالشهوات والنزوات ومنزلقات الحياة الماديّة ..

﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج : ٥]

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [غافر : ٦٧]

.. فحال خروج الإنسان من بطن أمِّه هو : ﴿ طِفْلًا ﴾ ، حيث يتمثّل هذه الصفة مائة بالمائة ، ويبدأ بالابتعاد عنها ، حتى يفقدها ببلوغه مرحلة الحلم .. وهنا ورود كلمة ﴿ طِفْلًا ﴾ بصيغة المفرد في خطاب للبشر بصيغة الجمع ، يفيد أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يخرج من بطن أمّه متمثّلاً صفة الطفولة تماماً ..

وفي العبارة القرآنيّة التي نحن بصدد دراستها ، نرى ورود كلمة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ حاملةً هذه الصفة ، في أيٍّ من المعنيِّين ، ذكراً كان أم أنثى .. بمعنى : جعل البراءة والفطرة النقيّة دون الشهوات والنزوات ، معياراً ، من خلاله يتمُّ تحديد الصفة المحمولة بالعبارة التالية مباشرة : ﴿ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ ﴾ .. فالظهور على عورات النساء ، هو الشعور بها ، وتصوّرها كعورات تثير الشهوة ، وتوحي بكونها وسيلة الغريزة ، وآليّة اللقاء الجنسي ..

.. فورود هذه الصيغة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ دون كلمة ((**الأطفال**)) ، ضرورة في اعتبار الفطرة النقيّة ﴿ ٱلطِّفْلِ ﴾ معياراً في تحديد ذلك ، وليس مجرَّد العمر الزمني الذي هو دون البلوغ ((**الأطفال**)) .. وهذا قمّة البلاغة ، ومطلق مطابقة الصياغة اللغويّة للأحكام المحولة بالنصِّ ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر .. في قوله تعالى .. ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ ﴾ [التوبة : ٦٩] .. قالوا : كان يجب أن تأتي العبارة القرآنيّة : وخضتم كالذين خاضوا ..

.. وهذا أقلُّ من أن يُردَّ عليه ، فالتشبيه هو للخوض ، وليس للأفراد ، بمعنى وخضتم كخوضهم الذي خاضوه ..

.. هذه هي أهمُّ ما وقف عنده الجاحدون بكتاب الله تعالى .. وهناك نقاط بسيطة لا تستحقّ أن نهدر وقتنا بالوقوف عندها ، كونها معلومة ، وكون وقوفهم عندها ناتجاً عن جهلٍ فاضح بالحدِّ الأدنى من قواد اللغة ..

.. من هنا نرى عظمةَ الصياغةِ القرآنيّة ، وضرورةَ البحث والتدبّر في النصِّ القرآني ، لمعرفة الحكمة الكامنة في هذه الصياغة القرآنيّة .. فكلُّ ما يعتبره التائهون مخالفةً لقواعد اللغة في صياغة النصِّ القرآني ، هو حكمةٌ عظيمةٌ لم يستطيعوا الوقوف عند حدودها ..

.. والكافرون بكتاب الله تعالى بالتأكيد لا يدخلون بهذا العمق في صياغة النصِّ القرآني .. لكن .. للأسف .. المشكلة الأكبر تكمن في عابدي أصنام التاريخ ممّن جعلوا الموروث حجَّة على كتاب الله تعالى ، ويزعمون أنَّهم يدافعون عنه ، فيتمسَّكون بموروث لا يحمل لكتاب الله تعالى إلاَّ الإساءة ، كالنصِّ التالي الذي اقتبسه من تفسير الرازي ، حيث أترك التعليق عليه لكلِّ مؤمنٍ بكون كتاب الله تعالى من عند الله تعالى ، وفيه ولو ذرّة شرف :

[[قرأ أبو عمرو وعيسى بن عمر : (إن هذين لساحران) قالوا : هي قراءة عثمان وعائشة وابن الزبير وسعيد بن جبير والحسن رضي الله تعالى عنه واحتج أبو عمرو وعيسى على ذلك بما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن قوله : { إِنْ هذان لساحران } وعن قوله : { إِنَّ الذين ءَامَنُواْ والذين هَادُواْ والصابئون والنصارى } [المائدة : ٦٩] في المائدة ، وعن قوله : { لكن الراسخون فِى العلم مِنْهُمْ } [النساء : ١٦٢] إِلى قوله

{ والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة } [النساء : ١٦٢] فقالت يا ابن أخي هذا خطأ من الكاتب ، وروي عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال : أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها ، وعن أبي عمرو أنه قال : إني لأستحي أن أقرأ : { إِنْ هاذان لساحران }]] .. انتهى الاقتباس ..

.. أقول .. مرّة أُخرى .. أدع التعليق على هذا النصِّ المقتبس من موروثنا ، لكلِّ مؤمنٍ بكتاب الله تعالى ، شريفٍ ، عاقلٍ ، يعي ما يقول .. وأترك الإجابة على السؤال التالي للإخوة القرَّاء : من الأكثر خطورة على إيصال دلالات كتاب الله تعالى إلى الناس .. المشكِّكون به من الكافرين ، أم المطبِّلون والمزمّرون لموروث يُعطي الكافرين حيثيّات هذا التشكيك ؟ ..

المهندس عدنان الرفاعي